الحكومة الليبية
الهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية
الإدارة العامة للمعاهد الدينية

التَّارِيخُ الإِسْلَامِيُّ

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

للسنة الأولى
بالمعاهد التخصصية للدراسات الإسلامية

إعداد لجنة المناهج

الطبعة الثانية
1444 - 1445 هجري
2022 - 2023 ميلادي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فيقول رب العزة والجلال في كتابه الكريم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أقواله وأفعاله وأحواله.

ولا يمكن التأسي برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أقواله وأفعاله وأحواله إلا بدراسة سيرته، والوقوف على مراحل حياته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومن أجل ذلك تسابق علماء السلف منذ وقت مبكر على التأليف والتصنيف في سيرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا الكتاب المختصر الذي نقدمه لطلابنا دراسة وافية لمراحل سيرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بعثته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى وفاته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأسلوب ميسر وسرد مُبسّط.

وقد قسم الكتاب إلى وحدتين، تتناول الأولى العهد المكي وما فيه من احداث مهمة قبيل بعثته وما بعدها وما جرى في هذا العهد من أحداث،

والذي استمر قرابة الثلاثة عشر عاماً يدعو فيها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قومه إلى التوحيد ونبذ الشرك.

والوحدة الثانية تتناول العهد المدني وما فيه من خصائص وأحداث مهمة تناولت هجرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمدينة بعد اشتداد أذى قومه له، وما فيها من فوائد وما تخللها من أحداث تاريخية حاسمة.

سائلين الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يحيينا على سنته وأن يميتنا عليها، وأن يجعلنا من المتأسين به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، إنه سميع عليم.

الوحدة الأولى

- المصادر الأساسية لدراسة السيرة النبوية
- فوائد وأهمية دراسة السيرة النبوية
- العهد المكي
  - (محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نسبه، ونشأته، وأحواله قبل النبوة)
  - تباشير النبـــوة وبداية الدعـــوة
  - التضيق على المسلمين وبوادر الهجرة

فوائد وأهمية دراسة السيرة النبوية

التعريف بالسيرة:

السيرة **لغة:** طريقة وهيأة: قال تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ٢١﴾ [طه].

السيرة اصطلاحاً: معرفة جميع أحوال النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على التفصيل منذ ولادته إلى وفاته وما يتصل بذلك من مغازيه وفتوحاته وشمائله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي دراسة السيرة فوائد عظيمة جداً ومنافع متعددة أذكِّر بشيء منها شحذًا للهمم للصبر والمواصلة والعناية بدراسة سيرة نبينا صلوات الله وسلامه وبركاته عليه؛ **فمن هذه الفوائد:**

الأمر الأول: أن نبينا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوة للعالمين وقدوة لهم في العقيدة والعبادة والأخلاق كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ٢١﴾ [الأحزاب: ٢١]، وتحقيق هذا الائتساء به وسلوك هديه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متوقف على معرفة سيرته وهديه الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

الأمر الثاني: أن سيرة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهديه القويم يُعَدُّ ميزاناً توزن في ضوءه الأعمال، فما كان منها موافقاً لهديه وسلوكه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهو المقبول، وما كان منها ليس موافقاً لهديه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولسلوكه فهو المردود.

الأمر الثالث: في دراسة سيرة النبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عون على فهم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وعونا لفهم الدين كله، عقيدةً وعبادةً وخُلقا، لأن حياته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كلها تطبيق للقرآن وعمل به، ولما سُئلت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عن خُلقه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قالت: **كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم] والمراد بالخُلق هنا: الدين؛ أي على دين كامل وتام.

الأمر الرابع: أن في دراسة سيرته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تعميقاً لمحبته، وقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» [متفق عليه].

الأمر الخامس: من فوائد دراسة سيرة نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: أنها باب من أبواب زيادة الإيمان وتقويته، وقد قال الله تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩ ﴾ [المؤمنون].

الأمر السادس: أن السيرة فيها تعليم للنهج الصحيح في الدعوة إلى الله على بصيرة، والدعاة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حقاً هم أهل الدراية بهديه ونهجه وسيرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨].

الأمر السابع: أن سيرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسها آية من آيات نبوته، وعلَمٌ من أعلام صدق ما جاء به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهي أكبر عونٍ على تصديقه والإيمان به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن طرق معرفة صدق الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصدق ما جاء به معرفة سيرته، وإلى ماذا يدعو؟ وكيف تكون معاملته للناس؟ وما هو هديه؟ وما هي أخلاقه؟ وما هي تعاملاتهُ؟

الأمر الثامن: أن دراسة سيرة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ باب عظيم مبارك من أبواب السعادة، بل إن السعادة متوقفة على معرفة هدي النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا سعادة إلا بسلوك نهجه ولزوم هديه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

الأمر التاسع: أنَّ شمائله وسيرته العطرة صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعدُّ منهج حياة لكلِّ مسلم يرجو لنفسه الخير والرفعة والحياة الكريمة في الدنيا والآخرة، يُربى عليها الأبناء وينشأ عليها الأجيال، وإذا حاد النشءُ عنها حصل لهم الضياع.

ومن ينظر إلى واقع الناس من حيث العناية بسيرة النبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يجد أن حالهم كما ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين مقل ومستكثر ومحروم؛ بل إنهم في هذا الباب:

إما رجل ابتُلي بالجفاء في حق إمام الخلق وقدوة الناس أجمعين فتجد أيامه تمضي وحياته وأوقاته تمر ولا يعطرها ولا يطيّبها بدراسة هدي وسيرة خير العباد التي هي زاد يبلّغ إلى رضوان الله، وإلى هذا يلمح ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عنوان كتابه [**زاد المعاد في معرفة هدي خير العباد**]؛ لأن هذه المعرفة المثمرة للعمل هي الزاد للمعاد.

وقسم آخر أصيب في هذا الباب بغلو وتجاوز للحد، وأصبحت السيرة والعناية بهدي النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنده نوعاً من المغالاة والإطراء المنهي عنه، وإحداث البدع التي ما أنزل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بها من سلطان، وإحداث المواسم التي تخصص في أوقات من السنة لقراءة القصائد أو المدائح أو أحياناً لقراءة شيء من سيرة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، مع تقصير بيّن وتفريط واضح في اتباع هديه ولزوم نهجه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى إن بعضهم ليضيّع الفرائض المكتوبات وفي مقدمتها الصلوات الخمس، ولا يضيّع ولا يفوّت تلك الاحتفالات.

وقسم وهم خيار الناس وسط في هذا الباب: لا غلو ولا جفاء ولا إفراط ولا تفريط، وخير الأمور أوساطها لا تفريطها ولا أفراطها.

وينبغي أن يُعلم أن دراسة سيرة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليست متوقفة على قراءة الكتب المؤلَّفة بهذا العنوان [سيرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]، لكن هذه الكتب رتبها أهل العلم وهذبوها واعتنوا بها تقريباً وتيسيرًا، فمن تأمل مثلاً في صحيح البخاري وصحيح مسلم والكتب الستة وغيرها من كتب الحديث، فهذه في الحقيقة تعد دراسة لهديه وسيرته ودعوته صلوات الله وسلامه عليه، وهكذا كتب التفسير كلها مصادر لتلقي السيرة النبوية، فكلما كان الإنسان ذا عناية بالقرآن والحديث علماً وعملاً وتطبيقاً فهو على خير عظيم في باب دراسة سيرة النبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لكن هذه الكتب التي كتبها أهل العلم مختصرة ومطوّلة تقرّب الفائدة وترتب الموضوع بترتيب حياته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بدءً من ولادته فنشأته فبعثه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهجرته إلى غير ذلك من أحداث السيرة العظيمة المباركة.

المصادر الأساسية لدراسة السيرة النبوية

تعددت مصادر دراسة السيرة النبوية، وتنوعت موضوعاتها، واختلفت مضامينها، ودرجاتها من حيث التوثيق، نوردها على النحو الآتي:

١- القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم قد اشتمل على آيات كثيرة تناولت سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة وبعدها، كما تناول الغزوات النبوية.

٢- كتب الحديث النبوي الشريف وشروحها:

وقد جمعت أقوال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأفعاله وتقريراته، وجاء فيها ذكر كثير من سيرته ومغازيه، كصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، ومسند أحمد، ومسند أبي يعلى، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان، ومستدرك الحاكم، والمصنف لعبد الرزاق، وغير ذلك من المصنفات.

٣- كتب الشمائل:

وهي التي اشتملت على الأحاديث والآثار المتعلقة بصفات النبي صلى الله عليه الخِلقية والخُلقية، وأحواله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منذ ولادته إلى وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا تتعرض لغزواته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا لجميع سيرته، كما هو الحال في كتب المغازي والسير.

ومن أشهر المصنفات في ذلك:

أ) الشمائل المحمدية للترمذي صاحب السنن، وهو مطبوع، وقد اختصره العلامة محمد ناصر الدين الألباني، وجرده من الأحاديث الضعيفة.

ب) الأنوار في شمائل النبي المختار، للبغوي صاحب كتاب: شرح السنة.

ج) الشمائل لابن كثير، ضمن كتابه البداية والنهاية.

٤- كتب دلائل النبوة:

وهي أيضاً من الكتب التي أفردها مصنفوها بجانب خاص يتعلق بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ألا وهو جانب معجزاته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودلائل نبوته.

ومن هذه الكتب:

أ) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني.

ب) دلائل النبوة للبيهقي، وهو من أوسعها وأشملها، وقد لخصه الإمام الذهبي في أول تاريخه الكبير.

٥- كتب المغازي والسير:

وفي طليعتها:

محمد بن شهاب الزهري: وهو من كبار أئمة الحديث، وهو أول من جمع المسانيد.

موسى بن عقبة: له كتاب المغازي، ويعتبر كتابه من أوثق مصادر السيرة وخصوصا ما يتعلق بجانب المغازي، وقد قال فيه الإمام مالك: «عليكم بمغازي موسى بن عقبة الرجل الصالح».

محمد بن إسحاق بن يسار: كتب في السيرة، واشتهر بها، وله كتاب مشهور بسيرة ابن إسحاق، واسمه: المبتدأ والمبعث في المغازي، وقد هذبه ابن هشام رَحِمَهُ ٱللَّهُ فحذف منه ما لا يصح، وخاصة من الأشعار المختلقة، وأضاف إليها ما يحتاج إليه، فكان له بهذا

العمل أثر بالغ، حتى نسي الناس سيرة ابن إسحاق، وسموها سيرة ابن هشام.

محمد بن عمر الواقدي: جرحه في الحديث جرحاً شديداً أكثر النقاد من المحدثين، ووثقه بعضهم، ولذلك قال الحافظ ابن حجر في التقريب: «متروك مع سعة علمه».

أهم المؤلفات المعاصرة في السيرة:

١) تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هارون.

٢) الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري.

٦- كتب خصائص النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفضائله:

من المصنفات في ذلك:

أ) غاية السول في خصائص الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لابن الملقن.

ب) الخصائص الكبرى، للسيوطي.

٧- كتب التواريخ:

وهي كتب تبدأ غالباً بالحديث عن بدء الخلق، وتنتهي بعصر المؤلف ومن هذه المصنفات:

أ) تاريخ الأمم والملوك، للإمام الطبري.

ب) تاريخ خليفة بن خياط العصفري.

ج) الكامل لابن الأثير.

د) البداية والنهاية لابن كثير.

هـ) تاريخ الإسلام للذهبي.

٨- كتب معرفة الصحابة:

وهي الكتب التي تتعلق بأسماء الصحابة وتراجمهم، مثل:

أ) الآحاد والمثاني، لابن أبي عاصم.

ب) معرفة الصحابة لأبي نعيم.

ج) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر.

د) أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير

هـ) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني.

٩- كتب الطبقات:

وهي تشتمل على ذكر الشيوخ، وأحوالهم، ورواياتهم طبقة بعد طبقة، وعصراً بعد عصر، إلى زمن المؤلف.

وأهم المصنفات في ذلك:

أ) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد.

ب) كتاب الطبقات لخليفة بن خياط العصفري.

١٠- كتب الأنساب:

كتب تفيد معرفة الأنساب، وأماكن القبائل، وتشمل مادة قليلة تتعلق بالسيرة.

الأسئلة

س١: عرّف السيرة لغةً واصلاحاً.

س٢: اذكر خمس نقاط فقط من فوائد وأهمية دراسة السيرة النبوية.

س٣: ضع علامة (√) أو علامة (×) أما العبارات التالية، مع تصحيح الخطأ:

أ) تعددت مصادر دراسة السيرة النبوية، وتنوعت موضوعاتها، واختلفت مضامينها، ودرجاتها من حيث التوثيق. ()

ب) كتب الشمائل هي التي جمعت أقوال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأفعاله وتقريراته، وجاء فيها كثير ذكر سيرته ومغازيه، كصحيح البخاري، وصحيح مسلم. ()

ج) كتب معرفة الصحابة هي التي تفيد معرفة الأنساب، وأماكن القبائل، وتشمل مادة قليلة تتعلق بالسيرة. ()

س٤: من هو محمد بن إسحاق؟ وما دوره في تدوين السيرة النبوية؟

محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نسبه، ونشأته، وأحواله قبل النبوة

النسب الشريف:

هو أكرم خلق الله، وأفضل رسله، وخاتم أنبيائه: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهرْ بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وعدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ بالاتفاق، ولكن لم يعرف بالضبط عدد ولا أسماء من بينه وبين إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

أما أمه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهي:

آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وكلاب هو الجد الخامس للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جهة أبيه، فأبوه وأمه من أصل واحد، يجتمعان في كلاب، واسمه حكيم، وقيل: عروة، لكنه كان كثير الصيد بالكلاب فعرف بها.

قبيلته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وقبيلته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي قبيلة قريش المشهود لها بالشرف، ورفعة الشأن، والمجد الأصيل، وقداسة المكان بين سائر العرب، وهو لقب فِهرْ بن مالك أو النضر بن كنانة.

أسـرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أما أسرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتعرف بالأسرة الهاشمية، نسبة إلى جدِّة الثاني هاشم، وقد ورث هاشم من مناصب قصي: السقاية والرفادة، ثم ورثهما أخوه المطلب، ثم أولاد هاشم إلى أن جاء الإسلام وهم على ذلك، وكان هاشم أعظم أهل زمانه، كان يهشم الخبز، أي يفتته في اللحم فيجعله ثريداً، ثم يتركه ليأكله الناس، فلقب بهاشم، واسمه

عمرو، وهو الذي سن الرحلتين: رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، وكان يعرف بسيد البطحاء.

ومن حديثه: أنه مر بيثرب، وهو في طريق تجارته إلى الشام، فتزوج سلمى بنت عمرو من بني عدي بن النجار، وأقام عندها مدة، ثم مضى إلى الشام وهي حامل، فمات بغزة من أرض فلسطين، وولدت سلمى ابناً بالمدينة سمته: شيبة، لشيب في رأسه، ونشأ هذا الطفل بين أخواله في المدينة، ولم يعلم به أعمامه بمكة حتى بلغ نحو سبع سنين أو ثماني سنين، ثم علم به عمه المطلب، فذهب به إلى مكة، فلما رآه الناس ظنوه عبده فقالوا: عبد المطلب، فاشتهر بذلك.

وكان عبد المطلب أوسم الناس، وأجملهم، وأعظمهم قدراً، وقد شرف في زمانه شرفاً لم يبلغه أحد، وقد تشرف بحفر بئر زمزم بعد أن كان قد درسها جُرْهم عند جلائهم عن مكة، وكان قد أُمِرَ بحفرها في المنام، ووُصِفَ له موضعها فيه، وفي عهده وقعت حادثة الفيل، جاء أبرهة الأشرم من اليمن بستين ألف جندي من الأحباش، ومعه بعض الفيلة، ليهدم الكعبة، فلما وصل إلى وادي محسر بين المزدلفة ومنى، وتهيأ للهجوم على مكة أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول، وكان ذلك قبل مولد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأقل من شهرين فقط.

أما والده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فهو عبدالله كان أحسن أولاد عبد المطلب، وأعفهم، وأحبهم إليه، وهو الذبيح، وذلك أن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم، وبدت آثارها نازعته قريش، فنذر لئن آتاه الله عشرة أبناء، وبلغوا أن يمنعوه، ليذبحن أحدهم، فلما تم له ذلك أقرع بين أولاده، فوقعت القرعة على عبدالله، فذهب إلى الكعبة ليذبحه، فمنعته قريش، ولا سيما إخوانه

وأخواله، ففداه بمائة من الإبل، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن الذبيحين: إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وعبد الله، وابن المفديين، فدي إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بكبش، وفُدي عبد الله بمائة من الإبل.

واختار عبد المطلب لابنه عبد الله آمنه بنت وهب، وكانت أفضل نساء قريش شرفاً وموضعاً، وكان أبوها وهب سيد بني زهرة نسباً وشرفاً، فتمت الخطبة والزواج، وبنى بها عبد الله بمكة فحملت برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعد مدة أرسله عبد المطلب إلى المدينة – أو الشام في تجارة – فتوفي بالمدينة – راجعاً من الشام –، ودفن في دار النابغة الذبياني، وذلك قبل ولادته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الأصح.

مولده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

ولد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشعب بني هاشم في مكة، صبيحة يوم الإثنين، التاسع – ويقال: الثاني عشر – من شهر ربيع الأول عام الفيل، – والتاريخ الأول أصح والثاني أشهر –، وهو يوافق اليوم الثاني والعشرين من شهر أبريل سنة ٥٧١م.

وكانت قابلته أي دايته: الشفاء بنت عمرو أم عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولما ولدته أمه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وأرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بولادته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجاء عبد المطلب مستبشراً مسروراً، وحمله، فأدخله الكعبة، وشكر الله، ودعاه، وسماه محمداً، رجاء أن يحمد، وعق عنه، وختنه يوم سابعه، وأطعم الناس كما كان العرب يفعلون.

وكانت حاضنته أم أيمن: بركة الحبشية، مولاة والده عبد الله، وقد بقيت حتى أسلمت، وهاجرت، وتوفيت بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمسة أشهر، أو بستة أشهر.

الرضاع:

وأول من أرضعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أمه ثويبة: مولاة أبي لهب بلبن ابن لها، يقال له مسروح، وكانت قد أرضعت قبله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمزة بن عبد المطلب وبعده

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، فهم إخوته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة، وقد أعتق أبو لهب أمته هذه فرحاً بولادة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكنه صار من ألد أعدائه حينما قام بالدعوة إلى الإسلام.

وكان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم في البوادي، إبعاداً لهم عن أمراض الحواضر حتى تشتد أعصابهم، وليتقنوا اللسان العربي في مهدهم، وقدر الله أن جاءت نسوة من بني سعد بن بكر بن هوزان يطلبن الرضعاء فعرض النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهن كلهن، فأبين أن يرضعنه لأجل يتمه، ولم تجد إحدى النسوة – وهي حليمة بنت أبي ذويب السعدية نسبة لبني سعد – رضيعاً فأخذته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحظيت به حظوة اغتبط لها الآخرون.

وقد حلت البركات على أهل بيت حليمة السعدية مدة وجوده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم، ومما روي من هذه البركات: أن حليمة لما جاءت إلى مكة كانت الأيام أيام جدب وقحط، وكانت معها أتان كانت أبطأ دابة في الركب مشياً لأجل الضعف والهزال، وكانت معها ناقة لا تدر بقطرة من لبن، وكان لها ولد صغير يبكي ويصرخ طول الليل لأجل الجوع، ولا ينام، ولا يترك أبويه ينامان، فلما جاءت حليمة بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى رحلها، ووضعته في حجرها أقبل عليه ثدياها بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه ابنها الصغير حتى روى، ثم ناما، وقام زوجها إلى الناقة فوجدها حافلاً باللبن، فحلب منها ما انتهيا بشربه رياً وشبعاً، ثم باتا بخير ليلة، ولما خرجا راجعين إلى بادية بني سعد ركبت حليمة تلك الأتان، وحملت معها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسرعت الأتان حتى قطعت بالركب، ولم يستطع لحوقها شيء من الحمر، ولما قدما في ديارهما: ديار بني سعد – وكانت أجدب أرض الله – كانت غنمهما تروح عليهما شباعاً ممتلئة الخواصر بالعلف، ممتلئة الضروع باللبن، فكانا يحلبان ويشربان، وما يحلب إنسان قطرة

لبن، فلم يزالا يعرفان من الله الزيادة والخير حتى اكتملت مدة الرضاعة ومضت سنتان ففطمته حليمة، وقد اشتد وقوي في هذه المدة.

بقاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بني سعد بعد الرضاعة:

وكانت حليمة تأتي بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أمه وأسرته كل ستة أشهر، ثم ترجع به إلى باديتها في بني سعد، فلما اكتملت مدة الرضاعة وفطمته، وجاءت به إلى أمه حرصت على بقائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندها، لما رأت من البركة والخير، فطلبت من أم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تتركه عندها حتى يغلظ، فإنها تخاف عليه وباء مكة، فرضيت أمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، ورجعت به حليمة إلى بيتها مستبشرة مسرورة، وبقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندها بعد ذلك نحو سنتين، ثم وقعت حادثة غريبة أحدثت خوفاً في حليمة وزوجها حتى ردا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أمه، وتلك الحادثة هي شق صدره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإليكم بيان ذلك.

حادثة شق صدره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه – أي ضمه وجمعه – ثم أعاده في مكانه.

وجاء الغلمان يسعون إلى أمه – يعني ظئره (وهي المرضعة) – فقالوا إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون أي متغير اللون قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره. [صحيح مسلم٥٨٥٢].

وفاة أمه وكفالة جده عبد المطلب له:

ورجع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد هذا الحادث إلى مكة، فبقي عند أمه وفي أسرته نحو سنتين، ثم سافرت معه أمه إلى المدينة، حيث قبر والده وأخوال جده بنو عدي بن النجار، وكان معها قيمها عبد المطلب، وخادمتها أم أيمن، فمكثت شهراً ثم رجعت، وبينما هي في الطريق لحقها المرض، واشتد حتى توفيت بالأبواء بين مكة والمدينة، ودفنت هناك.

وعاد به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جده عبد المطلب إلى مكة، وهو يشعر بأعماق قلبه شدة ألم المصاب الجديد، فرق عليه رقة لم يرقها لي أحد من أولاده، فكان يعظم قدره، ويقدمه على أولاده، ويكرمه غاية الإكرام، ويجلسه على فراشه الخاص الذي لم يكن يجلس عليه غيره، ويمسح ظهره، ويسر بما يراه يصنع، ويعتقد أن له شأناً عظيماً في المستقبل، ولكنه توفي بعد سنتين حين كان عمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثماني سنوات وشهرين وعشرة أيام.

كفالة عمه أبي طالب:

وقام بكفالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمه أبو طالب شقيق أبيه، واختصه بفضل الرحمة والمودة، وكان مقلا من المال، فبارك الله في قليله، حتى كان طعام الواحد يشبع جميع أسرته، وكان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثال القناعة والصبر، يكتفي بما قدر الله له.

سفره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع عمه أبي طالب إلى الشام وخبر بُحيرى الراهب:

وأراد أبو طالب أن يخرج بتجارة إلى الشام في عير قريش، وكان عمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اثنتي عشرة سنة – وقيل: وشهرين وعشرة أيام – فاستعظم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فراقه، فرق عليه وأخذه معه، فلما نزل الركب قريباً من مدينة بصرى على مشارف الشام خرج إليهم أحد كبار رهبان النصارى – وهو بحيرى الراهب – فتخلل في الركب حتى وصل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخذ بيده، وقال: «هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين»، قالوا: وما علمك بذلك؟ قال: «إنكم

حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، وإنا نجده في كتبنا»، ثم أكرمهم بالضيافة، وسأل أبا طالب، أن يرده ولا يقدم به إلى الشام خوفاً من اليهود والرومان، فرده أبو طالب إلى مكة.

حرب الفجار:

وحين كان عمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشرين سنة – وقعت في سوق عكاظ حرب بين قبائل قريش وكنانة من جهة، وبين قبائل قيس عيلان من جهة أخرى، اشتد فيها البأس، وقتل عدد من الفريقين، ثم اصطلحوا على أن يحصوا قتلى الفريقين، فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية الزائد، ووضعوا الحرب، وهدموا ما وقع بينهم من العداوة والشر، وقد حضر هذه الحرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان ينبل على أعمامه، أي يجهز لهم النبل للرمي، وسميت هذه الحرب بحرب الفجار؛ لأنهم انتهكوا فيها حرمة حرم مكة والشهر الحرام، والفجار أربعة: كل في سنة، وهذه آخرها، وانتهت الثلاثة الأولى بعد خصام واشتجار طفيف، ولم يقع القتال إلا في الرابع فقط.

حلف الفضول:

وفي شهر ذي القعدة على إثر هذه الحرب تم حلف الفضول بين خمسة بطون من قبيلة قريش وهم: بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو أسد، وبنو زهرة، وبنو تيم.

وسببه أن رجلاً من زبيد جاء بسلعة إلى مكة، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي، وحبس عنه حقه، فاستعدي عليه ببني عبد الدار، وبني مخزوم، وبني جمح، وبني سهم، وبني عدي، فلم يكترثوا له، فعلا جبل أبي قبيس، وذكر ظلامته في أبيات، ونادى من يعينه على حقه، فمشى في ذلك الزبير بن عبد المطلب حتى اجتمع الذين مضى ذكرهم في دار عبد الله بن جدعان رئيس بني تيم، وتحالفوا وتعاقدوا على أن لا يجدوا

بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم إلا قاموا معه حتى ترد عليه مظلمته، ثم قاموا إلى العاص بن وائل السهمي، فانتزعوا منه حق الزبيدي، ودفعوه إليه، وقد حضر رسول الله ﷺ هذا الحلف مع أعمامه، وقال بعد أن شرفه الله بالرسالة: «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت».

اشتغاله بالرعي والتجارة:

معلوم أن النبي ﷺ ولد يتيماً ونشأ في كفالة جده ثم عمه، ولم يرث عن أبيه شيئاً يغنيه، فلما بلغ سنا يمكن العمل فيه؛ رعى الغنم مع إخوته من الرضاعة في بني سعد، ولما رجع إلى مكة رعاها لأهلها على قراريط، والقيراط جزء يسير من الدينار، ورعى الغنم من سنن الأنبياء في أوائل حياتهم. فقد قال ﷺ مرة بعد أن أكرمه الله بالنبوة: «ما من نبي إلا ورعاها»، ولما شب النبي ﷺ وبلغ الفتوة فكأنه كان يتجر، فقد ورد أنه كان يتجر مع السائب بن أبي السائب، فكان خير شريك له، لا يجاري ولا يماري، وعرف ﷺ في معاملاته بالأمانة والصدق والعفاف، وكان هذا هديه ﷺ في جميع مجالات الحياة حتى لقب بالأمين.

سفره إلى الشام وتجارته في مال خديجة:

وكانت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها من أفضل نساء قريش شرفاً ومالاً، وكانت تعطي مالها للتجار يتجرون فيه على أجرة، فلما سمعت عن النبي ﷺ عرضت عليها مالها ليخرج فيه إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما أعطته غيره، وخرج رسول الله ﷺ مع غلامها ميسرة إلى الشام، فباع وابتاع وربح ربحاً عظيماً، وحصل في مالها من البركة ما لم يحصل من قبل، ثم رجع إلى مكة، وأدى الأمانة.

زواجه بخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

رأت خديجة من الأمانة والبركة ما يبهر القلوب، وقص عليها ميسرة ما رأى في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كرم الشمائل، يقال: وبعض الخوارق، مثل تظليل الملكين له في الحر، فشعرت خديجة بنيل بغيتها فيه، فأرسلت إليه إحدى صديقاتها تبدى رغبتها في الزواج به، ورضي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، وكلم أعمامه، فخطبوها له إلى عمها عمرو بن أسد، فزوجها عمها بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في محضر من بني هاشم ورؤساء قريش على صداق قدره عشرون بكرة، وقيل ست بكرات، وتم هذا الزواج بعد رجوعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الشام بشهرين وأيام، وكان عمره إذ ذاك خمساً وعشرين سنة.

أما خديجة فالأشهر أن سنها كانت أربعين سنة، وقيل: ثمان وعشرين سنة، وقيل غير ذلك، وكان كبار رؤساء قريش قد حرصوا على زواجها، فأبت حتى رغبت في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتزوجت به، فسعدت به سعادة يغبط عليها الأولون والآخرون، وهي أول أزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت، وكل أولاده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية.

أولاده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خديجة:

هم: القاسم، ثم زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم عبدالله، وقيل غير ذلك في عددهم وترتيبهم، وقد مات البنون كلهم صغاراً. أما البنات فقد أدركن كلهن زمن النبوة، فأسلمن وهاجرن، ثم توفاهن الموت قبل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فإنها عاشت بعده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ستة أشهر.

بناء البيت وقصة التحكيم:

ولما بلغ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمساً وثلاثين سنة جاء سيل جارف صدع جدران الكعبة، وكانت قد وهنت من قبل لأجل حريق، فاضطرت قريش إلى بنائها من جديد، وقرروا

أن لا يدخلوا في نفقتها إلا طيباً، وخصصوا لكل قبيلة جزءاً منها، وكان الأشراف يحملون الحجارة على أعناقهم، وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمه العباس فيمن يحمل، وتولى البناء بنَّاءٌ رومي اسمه: باقوم، وضاقت بهم النفقة الطيبة عن إتمامها على قواعد إبراهيم، فأخرجوا منها نحو ستة أذرع من جهة الشمال، وبنوا عليها جداراً قصيراً علامة أنه من الكعبة. وهذا الجزء و المعروف بالحجر والحطيم، ولما وصل البنيان إلى موضع الحجر الأسود أراد كل رئيس أن يتشرف بوضعه في مكانه، فوقع بينهم التنازع والخصام، واستمر أربعة أيام أو خمسة، وكاد يتحول إلى حرب دامية في الحرم، إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي تداركها بحكمة – وكان أسن رجل في قريش – فاقترح عليهم أن يحكِّمُوا أول رجل يدخل عليهم من باب مسجد، فقبلوا ذلك، واتفقوا عليه، وكان من قدر الله أن أول من دخل بعد هذا القرار هو رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما رأوه هتفوا، وقالوا: هذا الأمين رضيناه، هذا محمد، فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر، أخذ رداءً، ووضع فيه الحجر الأسود، وأمرهم أن يمسك كل واحد منهم بطرف من الرداء ويرفعه، فلما وصل الحجر الأسود إلى موضعه أخذه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده ووضعه في مكانه، وكان حلاً حصيفاً رضي به الجميع.

سيرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإجمالية قبل البعثة:

نشأ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ صباه سليم العقل، وافر القوى، نزيه الجانب، فترعرع وشب ونضج وهو جامع للصفات الحميدة والشيم النبيلة، فكان طرازاً رفيعاً من الفكر الصائب والنظر السديد، ومثالاً نهائياً في مكارم الأخلاق ومحاسن الخصال، امتاز بالصدق والأمانة، والمروءة، والشجاعة، والعدل، والحكمة، والعفة، والزهد، والقناعة، والحلم، والصبر والشكر، والحياء والوفاء، والتواضع والتناصح، وكان على أعلى قمة من البر والإحسان كما قال عمه أبو طالب:

وأبيض يُسْتَسقَى الغمامُ بِوَجْهِهِ ثمـالُ اليتـامى عصـمةٌ للأراملِ

وكان وصولاً للرحم، حمولاً لما يثقل كواهل الناس وكان يقري الضيف، وبغض إليه ما كان في قومه من خرافة وسوء، فلم يشهد أعياد الأوثان واحتفالات الشرك، ولم يأكل مما ذبح على النصب أو أهل به لغير الله، وكان لا يصبر على سماع الحلف باللات والعزى فضلاً عن مس الأصنام أو التقرب إليها، وكان أبعد الناس من شرب الخمر وشهود الملاهي حتى لم يحضر مجالس اللهو والسمر ونواديها التي كانت منتزه الشباب وملتقى الأحبة في مكة.

الأسئلة

س١: تحدث عن نسب نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومولده.

س٢: تخيّر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس:

أ) يجتمع أبوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آمنة بنت وهب وعبد الله بن عبد المطلب في: (عبد مناف بن زهرة – كلاب بن مرة – نزار بن معدّ).

ب) اسم قريش هو لقبٌ لـ: (فِهرْ بن مالك – قصي بن كلاب – مضر بن نزار).

ج) كانت أول زوجة تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي: (سودة بنت زمعة – عائشة بنت الصديق – خديجة بنت خويلد).

د) تعرف أسرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأسرة (القرشية – الهاشمية – المحمدية).

هـ) ورث هاشم جد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مناصب قصي بن كلاب: (السقاية والرفادة – القضاء في الديات والمغارم – سفارة قريش).

س٣: ضع علامة (√) أو علامة (×) أما العبارات التالية، مع تصحيح الخطأ:

أ) أول من أرضعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أمه هي حليمة السعدية. ( )

ب) توفيت أم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في السابعة من عمره. ( )

ج) قام أبو طالب عم النبي بكفالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاة عبد المطلب. ( )

د) وقعت حرب الفجار في الطائف حين كان عمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثين سنة، وكانت حرباً بين قبائل قريش وقبائل الطائف. ( )

هـ) حضر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حلف الفضول مع أعمامه في دار عبد الله بن جدعان رئيس بني تيم، وتحالفوا وتعاقدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم إلا قاموا معه حتى ترد عليه مظلمته. ( )

س٤: اكتب ما تعرفه عن:

أ) حادثة شق الصدر.

ب) بناء البيت وقصة التحكيم.

ج) أولاده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خديجة.

تباشير النبوة وبداية الدعوة

طفق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقلق مما يرى عليه قومه من الشقاوة والفساد، ويرغب في الاعتزال عنهم والخلوة بنفسه مع تفكيره في سبيل ينجيهم من التعاسة والبوار.

واشتد هذا القلق، وقويت هذه الرغبة مع تقدم السن حتى كأن حادياً يحدوه إلى الخلوة والانقطاع، فأخذ يخلو بغار حراء(١)، يتعبد الله فيه على بقايا دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وذلك من كل سنة شهراً، وهو شهر رمضان، فإذا قضى جواره بتمام هذا الشهر انصرف إلى مكة صباحاً، فيطوف بالبيت، ثم يعود إلى داره، وقد تكرر ذلك منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث سنوات.

فلما تكامل له أربعون سنة – وهي سن الكمال، ولها بعثت الرسل غالباً – بدأت طلائع النبوة وتباشير السعادة في الظهور، فكان يرى رؤيا صالحة تقع كما يرى، وكان يرى الضوء ويسمع الصوت وقال: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث».

بداية النبوة ونزول الوحي:

فلما كان في رمضان من السنة الحادية والأربعين وهو معتكف بغار حراء، يذكر الله ويعبده، فجاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنبوة والوحي، فقال: اقرأ، يقول النبي

---

(١) حراء: اسم الجبل الذي يعرف اليوم بجبل النور، وهو على بعد نحو ميلين من أصل مكة، أما الغار فيقع فيه بجنب قمته الشامخة أسفل منها على يسار الصاعد إليها، يصل الرجل إلى الغار بعد ما ينزل من القمة، وهو غار لطيف طوله ينقص قليلاً عن أربعة أمتار، وعرضه يزيد قليلاً على متر ونصف متر.

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني، فغطني حتى بلغ مني جهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني، فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني. فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق].

فرجع بها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فقال: دثروني دثروني حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة – وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فَقَالت خديجة: كلا، والله ما يخزيك الله أبداً. إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي، ابن عم خديجة، وكان امرءاً تنصر في الجاهلية، وكان شيخاً قد عمى، فقالت له خديجة: يا ابن العم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً – أي قوياً جلداً – ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم يلبث ورقة أن توفى، وفتر الوحي.

فترة الوحي ثم عودته:

وكان الوحي قد فتر وانقطع بعد أول نزوله في غار حراء – كما سبق – ودام هذا الانقطاع أياماً، وقد أعقب ذلك في النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حزناً، ولكن المصلحة كانت في هذا الانقطاع، فقد ذهب عنه الروع، وتثبت من أمره، وتهيأ لاحتمال مثل ما سبق حين يعود، وحصل له التشوف والانتظار، وأخذ يرتقب مجئ الوحي مرة أخرى.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عاد من عند ورقة بن نوفل إلى حراء ليواصل جواره في غاره، ويكمل ما تبقى من شهر رمضان، فلما انتهى شهر رمضان وتم جواره نزل من حراء صبيحة غرة شوال ليعود إلى مكة حسب عادته.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فلما استبطنت الوادي أي دخلت في بطنه – نوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت إلى شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فإذا الملك جاءني بحرى جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه رعباً حتى هويت إلى الأرض، فأتيت خديجة، فقلت: دثروني، وصُبوا على ماء بارداً، فدثروني وصبوا على ماء بارداً، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر]، وذلك قبل أن تفرض الصلاة ثم حمي الوحي وتتابع، وهذه الآيات هي بدء رسالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي متأخرة عن النبوة بمقدار فترة الوحي، وفي ذلك يقول السلف نبئ بـ(اقرأ)، وأرسل بـ(المدثر).

القيام بالدعوة سراً:

وقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أثر نزول هذه الآيات بالدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحيث إن قومه كانوا جفاة لا دين لهم إلا عبادة الأصنام والأوثان، ولا حجة لهم إلا أنهم ألفوا إباءهم على ذلك، ولا أخلاق لهم إلا الأخذ بالعزة والأنفة، ولا سبيل لهم في حل المشاكل إلا السيف، فقد اختار الله أن يقوم بالدعوة سراً، ولا يواجه بها إلا من يعرفه بالخير وحب الحق، ويثق به ويطمئن إليه، وان يقدم أهله وعشيرته وأصدقاءه وندماءه على غيرهم.

أول من آمن به:

فلما بدأ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوته بادر إلى الإيمان به عدد ممن كتب الله له السبق إلى السعادة والخير، وكانت أولهم على الإطلاق أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وبادر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى صديقه الحميم أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ليخبره بما أكرمه الله به من النبوة والرسالة، ويدعوه إلى الإيمان به، فكان أول من أمن به على الإطلاق من الرجال، وكان أصغر منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسنتين، وصديقاً له منذ عهد قديم، عارفاً بسره وعلانيته، فكان إيمانه أعدل شاهد على صدقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن أول من آمن به علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان تحت كفالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقيماً عنده، ومن أول من آمن به مولاه زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، كان قد أسر أيام الجاهلية وبيع، فاشتراه حكيم بن حزام، ووهبه لعمته خديجة، فوهبته خديجة لرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هؤلاء الأربعة كلهم أسلموا في يوم واحد، يوم أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإنذار، وقام بالدعوة إلى الله.

ثم نشط للدعوة إلى الله أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وصار الساعد الأيمن للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مهمة رسالته، وكان رجلاً عفيفاً، مألفاً محبباً، سهلاً كريماً، جواداً، معظماً، أعلم الناس بأنساب العرب وأخبارها، فدعا إلى الإسلام من توسم فيه الخير ووثق به من قومه، فأجابه جمع من فضلاء الناس، في مقدمتهم عثمان بن عفان الأموي، والزبير بن العوام الأسدي، وعبد الرحمن بن عوف الزهري، وسعد بن أبي وقاص الزهري، وطلحة بن عبيد الله التيمى، بين لهم أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الإسلام، وأتى بهم إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلموا جميعاً، وهم من العشرة المبشرين بالجنة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

ثم تلا هؤلاء أمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وامرأته أم سلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وأخواه قدامة وعبدالله ابنا مظعون، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وامرأته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب، وخباب بن الأرت، وجعفر بن أبي طالب، وامرأته بنت عميس، وخالد بن سعيد بن العاص، وحاطب بن حارث، وامرأته فاطمة بنت المجلل، وأخوه حطاب بن حارث، وامرأته فكيهة بنت أبي عوف، ونعيم بن عبد الله بن أسيد النحام، وهؤلاء كلهم قرشيون من بطون وأفخاذ شتى من قريش.

ومن السابقين الأولين إلى الإسلام من غير قريش: عبدالله بن مسعود الهذلي، ومسعود بن ربيعة القارئ، وعبدالله بن جحش، وأخوه أبو أحمد بن جحش، وصهيب بن سنان الرومي، وعمار بن ياسر العنسي، وأبوه ياسر، وأمه سمية، وعامر بن فهيرة.

وممن سبق إلى الإسلام من نساء من غير من تقدم ذكرهن: أم أيمن بركة الحبشية، مولاة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحاضنته، أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية، زوج العباس بن عبد المطلب، وأسماء بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

لم توجه لمن آمن برسالة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبادات وأوامر ونواه أخرى في أوائل أيام الإسلام، وإنما كان الوحي يبين لهم جوانب شتى من التوحيد، ويرغبهم في تزكية النفوس، ويحثهم على مكارم الأخلاق، ويصف لهم الجنة والنار، ويعظهم مواعظ بليغة تشرح الصدور وتغذي الأرواح.

وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويحدو بهم إلى منازل نقاء القلوب، ونظافة الأخلاق، وعفة النفوس، وصدق المعاملات، وبالجملة

كان يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط مستقيم، ويربيهم على التمسك بدين الله والاعتصام بحبل الله، والثبات في أمر الله، والاستقامة عليه.

وهكذا مرت ثلاثة أعوام، والدعوة لم تزل مقصورة على الأفراد، لم يجهر بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المجامع والنوادي، إلا أنها صارت معروفة لدى قريش، وقد تنكر لهم بعضهم أحياناً، واعتدوا على بعض المؤمنين، ولكنهم لم يبالوا بها بصفة عامة، حيث لم يتعرض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدينهم ولم يتكلم في آلهتهم.

الجهر بالدعوة

الدعوة في الأقربين:

وبعد أن قضى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث سنوات في سبيل الدعوة الفردية، ووجد لها آذاناً صاغية، ورجالاً صالحين من صميم قريش وغيرها، وتمهدت لها السبل، وتهيأ لظهورها الجو أنزل الله تعالى على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [الشعراء].

فجمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشيرته الأقربين، وهم بنو هاشم، ومعهم نفر من بني المطلب، فقال بعد الحمد وشهادة التوحيد:

«إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً. وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً».

فتكلم القوم كلاماً ليناً، غير عمه أبي لهب فإنه قال: خذوا على يديه قبل أن تجتمع عليه العرب، فإن سلمتموه إذن ذللتم، وإن منعتموه قتلتم، فقال أبو طالب: والله لنمنعنه ما بقينا، وقال أيضاً: امض لما أمرت به، فو الله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب.

صعوده على جبل الصفا:

وفي غضون ذلك نزل أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر] فصعد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ذات يوم على الصفا فعلا أعلاها حجراً، ثم هتف: «يا صباحاه»، وكانت كلمة إنذار تخبر عن هجوم جيش أو وقع أمر عظيم، ثم جعل ينادي بطون قريش، ويدعوهم قبائل قبائل: يا بني فِهْر! يا بني عَدِي! يا بني فلان! يا بني فلان، يا بني عبد مناف! يا بني عبد المطلب! فلما سمعوا قالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد. فأسرع الناس إليه، حتى إن الرجل إذا لم يستطع أن يخرج إليه أرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فلما اجتمعوا قال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي بسفح هذا الجبل، تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي»؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذباً، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله – أي يتطلع وينظر لهم من مكان مرتفع لئلا يدهمهم العدو – فخشي أن يسبقوه، فجعل ينادي: يا صباحاه».

ثم دعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وبين لهم أن هذه الكلمة هي ملاك الدنيا ونجاة الآخرة، ثم حذرهم وأنذرهم عذاب الله إن بقوا على شركهم، ولم يؤمنوا بما جاء به من عند الله، وأنه مع كونه رسولاً لا ينقذهم من العذاب ولا يغنيهم من الله شيئاً.

لما أتم هذا الإنذار انفض الناس وتفرقوا، ولا يذكر عنهم أنهم أبدوا أي معارضة أو تأييد لما سمعوه، سوى ما ورد عن أبي لهب أنه واجه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بالسوء، فقال: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت:

[المسد].

أما عامة قريش فكأنهم قد أصابتهم الدهشة والاستغراب حين فوجئوا بهذا الإنذار، ولم يستطيعوا أن يختاروا أي موقف تجاه ذلك، ولكنهم لما رجعوا إلى بيوتهم، واستقرت أنفسهم، وأفاقوا من دهشتهم، واطمأنوا، استكبروا في أنفسهم، وتناولوا هذه الدعوة والإنذار بالاستخفاف والاستهزاء، فكان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إذا مرَّ على ملأ منهم سخروا منه وقالوا: أهذا الذي بعث الله رسولاً؟ أهذا ابن أبي كبشة، يكلم من السماء أمثال ذلك.

وأبو كبشة اسم لأحد أجداده صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من جهة الأم، كان قد خالف دين قريش، واختار النصرانية، فلما خالفهم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في الدين نسبوه إليه، وشبهوه به، تعييراً واحتقاراً له وطعناً فيه.

واستمر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في دعوته وبدأ يجهر في نواديهم ومجامعهم، يتلو عليهم كتاب الله، ويدعوهم إلى ما دعت إليه الرسل: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩] وبدأ يعبد الله أمام أعينهم، فكان يصلي بفناء الكعبة نهاراً جهاراً وعلى رؤوس الأشهاد، وقد نالت دعوته بعض القبول، ودخل عدد من الناس في دين الله واحداً بعد واحد، وحصل بين هؤلاء المسلمين وبين من لم يسلم من أهل بيتهم التباغض والتباعد.

قريش تكف الحجاج عن دعوة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ:

اشمأزت قريش من كل ذلك، وساءهم ما رأوه، وما هي إلا أيام حتى اقترب موعد الحج، وأهمهم أمر الحجاج، فاجتمع نفر منهم إلى الوليد بن المغيرة – وكان ذا سن وشرف فيهم – فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا، فيكذب بعضكم بعضاً.

قالوا: أنت فقل، وأقم لنا رأياً نقول به. قال: لا بل أنتم فقولوا وأسمع.

قالوا: نقول: كاهن. قال: ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان، فلما هو بزمزمة الكهان ولا بسجعهم.

قالوا: فنقول مجنون.قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته.

قالوا: فنقول: شاعر. قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله، رجزه وهجزه وقريضه ومقبوضة ومبسوطة. فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول: ساحر. قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة وسحرهم، فما هو بنفثه ولا بعقده.

قالوا: فماذا نقول؟

قال: والله إنَّ لقوله حلاوةً، وإنَّ عليه لطلاوةً، وإنَّ أصله لعذق، وإن فرعه لجناة. وما أنتم بقائلين من هذا أنتم شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول أن تقولوا: هو ساحر، وقوله سحر، يفرق به بين المرء وأبيه. وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك، وجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا للموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه وذكروا له أمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعرف الناس أمره قبل أن يروه أو يسمعوا منه.

وجاءت أيام الحج فخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مجامع الحجاج ورحالهم ومنازلهم، ودعاهم إلى الإسلام، وقال لهم: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، وتبعه أبو لهب يكذبه ويؤذيه، فصدرت العرب من ذلك الموسم وقد عرفوا أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها.

أساليب قريش لمواجهة الدعوة:

ولما انتهى الحج، وعادت قريش إلى بيوتهم، واطمأنوا كأنهم رأوا أن يعالجوا هذه المشكلة التي نشأت لأجل قيام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعوة إلى الله وحده، ففكروا واستشاروا، ثم اختاروا سبلاً شتى لمواجهة هذه الدعوة والقضاء عليها، نذكرها فيما يلي بإيجاز.

الأول: مواصلة السخرية والاستهزاء والإكثار منها: والقصد من ذلك تخذيل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين، وتوهين قواهم المعنوية، فكانوا يتهمون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه رجل مسحور، شاعر مجنون، كاهن يأتيه الشيطان، ساحر كذاب، مفتر متقول، وغير ذلك من التهم والشتائم، وكانوا إذا رأوه يجئ ويذهب ينظرون إليه نظر الغضب والنقمة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [القلم]، وكانوا إذا رأوه يتهكمون به، ويقولون: ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٣٦].

وإذا رأوا ضعفاء الصحابة قالوا: قد جاءكم ملوك الأرض ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴾ [الأنعام: ٥٣].

وكما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المطففين].

الثاني: الحيلولة بين الناس وبين الاستماع إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فقد قرروا أن يثيروا الشغب، ويرفعوا الضوضاء، ويطردوا الناس كلما رأوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعد ليقوم بالدعوة إلى الله فيما بينهم، وأن لا يتركوا له فرصة ينتهزها لبيان ما يدعو

إليه، وقد تواصوا بذلك فيما بينهم. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فصلت].

الثالث: إثارة الشبهات تكثيف الدعايات الكاذبة: فقد أكثروا من ذلك وتفننوا فيه، فربما كانوا يقولون عن القرآن: إنه أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ، أي أحلام كاذبة يراها محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالليل، فيتلوها بالنهار. وأحياناً كانوا يقولون: «افتراه من عند نفسه»، وأحياناً كانوا يقولون كما أخبر الله عنهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل]، وربما قالوا: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤]، أي اشتراك هو وزملاؤه في اختلاقه، ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ٥﴾ [الفرقان]، وأحياناً قالوا: أن له جناً أو شيطاناً يتنزل عليه بالقرآن مثل ما ينزل الجن والشياطين على الكهان، قال – تعالى رداً عليهم: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٢٢٢﴾ [الشعراء]، أي إنها تنزل على الكذاب الفاجر المتلطخ بالذنوب، وما جربتم علي كذباً، ولا وجدتم في فسقاً، فكيف تقولون إن القرآن من تنزيل الشيطان؟

الرابع: النقاش والجدال: وكانت ثلاث قضايا استغربها المشركون جداً، وكانت هي الأساس في الخلاف الذي حصل بينهم وبين المسلمين في أمر الدين، وهي: التوحيد، والرسالة، والبعث بعد الموت، فكانوا يناقشون في هذه القضايا، ويجادلون حولها.

فأما البعث بعد الموت فلم يكن عندهم في ذلك إلا التعجب والاستغراب، والاستبعاد العقلي فقط، فكانوا يقولون: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ١٦ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ١٧﴾ [الصافات] وكانوا يقولون: ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٌ ٣﴾ [ق]. وكانوا

يقولون: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ ﴾ [سبأ: ٧، ٨].

وأما رسالة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكانت لهم حولها شبهات مع معرفتهم واعترافهم بصدق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمانته وغاية صلاحه وتقواه، وذلك أنهم كانوا يعتقدون أن منصب النبوة والرسالة أعظم وأجل من أن يعطى لبشر، فالبشر لا يكون رسولاً، والرسول لا يكون بشراً، حسب عقيدتهم، فلما أعلن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نبوته ورسالته، ودعا إلى الإيمان به تحير المشركون، وتعجبوا، وقالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان]، وقال تعالى﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ ﴾ [ق]، وقالوا ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٩١].

وقد أبطل الله عقيدتهم هذه، قال رداً عليهم: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [الأنعام: ٩١]، وقص عليهم قصص الأنبياء والرسل، وما جرى بينهم وبين قومهم من الحوار، وأن قومهم قالوا إنكاراً لرسالتهم: ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ [إبراهيم: ١٠]، و﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ١١]، فالأنبياء والرسل كلهم كانوا بشراً، وأما أن يكون الرسول ملكاً فإن ذلك لا يفي بغرض الرسالة ومصلحتها، إذ البشر لا يستطيع أن يتأسى بالملائكة، ثم تبقى الشبهة كما هي، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٩].

وحيث إن المشركين كانوا يعترفون أن إبراهيم وإسماعيل وموسى عليهم السلام كانوا رسلاً وكانوا بشراً، فإنهم لم يجدوا مجالاً للإصرار على شبهتهم هذه، ولكنهم أبدوا

شبهة أخرى قالوا: ألم يجد الله لحمل رسالته إلا هذا اليتيم المسكين؟ ما كان الله ليترك العظماء الكبار من أشراف قريش وثقيف، ويرسل هذا، ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١]. أي من مكة والطائف، قال تعالى رداً عليهم: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢]. فلما ردَّ على شبهتهم هذه تقدموا خطوة أخرى، وأخذوا يطالبون بالآيات عناداً وتعجيزاً، فدار بينهم وبين النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نقاش وحوار، وسنأتي على شيء منه إن شاء الله.

أما قضية التوحيد فكانت رأس القضايا وأصل الخلاف، وكان المشركون يقرون بتوحيد الله —في ربوبيته— أي أن الله هو الخالق الذي خلق السموات والأرض وما بينهما، وهو الرازق الذي يرزق الناس والدواب والأنعام، ويرزق كل حي، وهو المدبر الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ويدبر أمر كل صغير وكبير حتى الذرة والنملة، يحيي ويميت، ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ولا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه.

وهم بعد هذا الإقرار الصريح لتوحيد الربوبية له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كانوا يقولون: إن الله تعالى أعطى بعض عبادة المقربين – كالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين – شيئاً من التصرف في بعض أمور الكون، فهم يتصرفون فيه بإذنه مثل: هبة الأولاد، ودفع الكربات، وقضاء الحوائج، وشفاء المرضى، وأمثال ذلك، والمشركون على أساس زعمهم هذا، جعلوا هؤلاء الأنبياء والأولياء والصالحين الذين صوروا لهم الأصنام؛ وسيلة ووسائط فيما بينهم وبين الله، واخترعوا أعمالاً يتقربون بها إليهم، ويبتغون بها رضاهم، فكانوا يأتون بتلك الأعمال ثم يتضرعون إليهم، ويدعونهم لقضاء حوائجهم، ويستغيثون بهم في شدائدهم، ويستعيذون بهم في مخاوفهم.

ولما تقدمت الدعوة وقرر المشركون الدفاع عن شركهم، والدخول في النقاش والجدال ومناظرة المسلمين ليكفوا بذلك الدعوة إلى الله، ويبطلوا أثرها في المسلمين،

أقيمت عليهم الحجة من عدة جوانب، وتبين عجزهم وجهلهم معا، وبعد يأس المشركين وبطلان حجتهم قرروا إحباط الدعوة، والصد عن سبيل الله بالضغط والقوة والعنف، فقام كل كبير ورئيس بتعذيب من آمن من قبيلته، وذهب جمع منهم إلى أبي طالب ليكف ابن أخيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الدعوة إلى الله.

مرحلة تعذيب المسلمين:

فأما تعذيبهم المسلمين فقد أتوا فيه بأنواع تقشعر لها الجلود، وتتفطر منها القلوب.

- كان بلال بن رباح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مملوكاً لأمية بن خلف الجمحي، فكان أمية يجعل في عنقه حبلاً، ويدفعه إلى الصبيان، يلعبون به، وهو يقول: أحد أحد. وكان يخرج به في وقت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في الرمضاء، وهي الرمل أو الحجر الشديد الحرارة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا يزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيقول أَحَدٌ، أَحَدٌ، ومر به أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يوماً وهو يعذب فاشتراه وأعتقه لله.

- وكان عامر بن فهيرة يعذب حتى يفقد وعيه، ولا يدري ما يقول.

- وعذب أبو فكيهة – واسمه أفلح، وكان مولى لبني عبد الدار، فكانوا يخرجونه في نصف النهار في حر شديد، وفي رجليه قيد من حديد، فيجردونه من الثياب، ويبطحونه في الرمضاء، ثم يضعون على ظهره صخرة حتى لا يتحرك، فكان يبقى كذلك حتى لا يعقل، فلم يزل يعذب كذلك حتى هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وكانوا مرة قد ربطوا رجليه بحبل، ثم جروه، وألقوه في الرمضاء، وخنقوه حتى ظنوا أنه قد مات، فمر به أبو بكر فاشتراه وأعتقه لله.

- وكان خباب بن الأرت ممن سبي في الجاهلية، فاشترته أم أنمار بنت سباع الخزاعية، وكان حداداً، فلما أسلم عذبته مولاته بالنار، كانت تأتي بالحديدة المحماة

فتجعلها على ظهره ليكفر بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يكن يزيده ذلك إلا إيماناً وتسليماً، وكان المشركون أيضاً يعذبونه، فيلوون عنقه، ويجذبون شعره، وقد ألقوه مراراً على فحم النار، ثم وضعوا على صدره حجراً ثقيلاً حتى لا يقوم.

- وكانت زنيرة أَمَةٌ رومية، أسلمت، فعذبت في الله، وأصيبت في بصرها حتى عميت، فقيل لها: أصابتك اللات والعزى، فقالت: لا والله ما أصابتني، وهذا من الله، وإن شاء كشفه، فأصبحت من الغد، وقد رد الله بصرها، فقالت قريش: هذا بعض سحر محمد.

- وأسلمت أم عبيس، جارية لبني زهرة، فكان يعذبها مولاها الأسود بن عبد يغوث، وكان من أشد أعداء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن المستهزئين به.

-وتذكر فيمن أسلمن وعذبن من الجواري: النهدية، وابنتها وكانتا لامرأة من بني عبد الدار، واشترى أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هؤلاء الجواري، وأعتقهن كما أعتق بلالاً وعامر بن فهيرة، وأبا فكيهة.

وقد عاتبه أبوه أبو قحافة، وقال: أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون دونك؟ فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أبت إنما أريد ما أريد لله عَزَّ وَجَلَّ، قال: فيتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قال له أبوه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾ إلى قوله ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٧ ٢١].

وهو أبوبكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعمن أعتقهم، وعن الصحابة أجمعين.

- وعذب عمار بن ياسر وأمه وأبوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكانوا حلفاء بني مخزوم، فكان بنو مخزوم – وعلى رأسهم أبو جهل – يخرجونهم إلى الأبطح، إذا حميت الرمضاء، فيعذبونهم

بحرها، ويمر بهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول: «صبراً آل ياسر موعدكم الجنة، اللهم اغفر لآل ياسر».

- أما ياسر والد عمار - وهو ياسر بن عامر بن مالك العنسي المذحجي - فقد مات تحت العذاب، وأما أم عمار - وهي سمية بنت خياط مولاة أبي حذيفة المخزومي، وكانت عجوزاً كبيرة ضعيفة، فطعنها أبو جهل في قبلها بحربة، فماتت، وهي أول شهيدة في الإسلام، وأما عمار فثقل عليه العذاب، فإن المشركين تارة كانوا يلبسونه درعاً من حديد في يوم صائف، وتارة كانوا يضعون على صدره صخراً أحمر ثقيلاً، وتارة كانوا يغطونه في الماء، حتى قال بلسانه بعض ما يوافقهم، وقلبه مليء بالإيمان، فأنزل الله ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل: ١٠٦].

- وعذب في الله مصعب بن عمير، كان من أنعم الناس عيشاً، فلما دخل في الإسلام منعته أمه الطعام والشراب، وأخرجته من البيت، فتخشف جلده تخشف الحية.

- وعذب صهيب بن سنان الرومي، حتى فقد وعيه، ولا يدري ما يقول، وعذب عثمان بن عفان، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم أجمعين.

وكان أبو جهل إذا سمع برجل قد أسلم وله شرف ومنعة، أنَّبه وأخزاه، وأوعده بإلحاق الخسارة الفادحة في المال والجاه، وإذا كان الرجل ضعيفاً ضربه وأغرى به، والحاصل أنهم لم يعلموا بأحد دخل في الإسلام إلا وتصدوا له بالأذى والنكال.

كانت هذه الاعتداءات ضد الضعفاء المسلمين وعامتهم، أما من أسلم من الكبار والأشراف فإنهم كانوا يحسبون له حساباً، ولم يكن يجترئ عليهم إلا أمثالهم من رؤساء القبائل وأشرافها، وذلك مع قدر كبير من الحيطة والحذر.

أبو طالب وموقف المشركين من رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ:

أما رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فكان له من الشهامة والشرف والوقار ما وقاه الله به كثيراً من اعتداءات الناس، وقد كان يحوطه ويمنعه أبو طالب، وكان سيداً مطاعاً معظماً في قريش، ولا يستهان بذمته ولا تخفر، كان من ذروة بني عبد مناف، ولم تعرف لها قريش بل العرب إلا الإجلال والتكريم، فاضطر المشركون بداية بالنسبة للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى اختيار سبيل المفاوضات مع عمه أبي طالب، ولكن مع نوع من أسلوب القسوة والتحدي.

فقد مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، وقالوا له: إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسَفَّه أحلامنا، وضَلَّل آباءنا، فإما أن تكفَّه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على ما هو عليه، يظهر دين الله ويدعو إليه.

إنذار قريش وتحديهم لأبي طالب:

ولم تصبر قريش طويلاً حين رأوا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ماضياً في عمله ودعوته إلى الله، فقد أكثروا ذكره وتذامروا فيه، ثم مشوا إلى أبي طالب، وقالوا: يا أبا طالب إن لك سنا، وشرفاً، ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا.

وعظم على أبي طالب هذا التحدي والإنذار، فدعا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وذكر له ما قالوه، وقال له: أبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر مالا أطيق، فلما رأى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ضعفه قال: يا عم! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر

في يساري على أن أترك هذا الأمر، حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته. ثم استعبر وبكى. وعادت إلى أبي طالب الرقة والثقة، فقال: اذهب يا ابن أخي! فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشيءٍ أبداً، وأنشد أبوطالب قائلاً:

والله لَنْ يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

فاصدعْ بأمرك ما عليك غضاضةٌ وابشرْ بذاك وقُرْ منه عيونا

ولما رأت قريش أن إنذارهم لم يجد نفعاً، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماض في دعوته، وأبو طالب قائم بنصرته، ما يعني أنه مستعد لفراقهم وعداوتهم ومنازلتهم في نصرة ابن أخيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى لبثوا يفكرون ويتشاورون، ووصلوا إلى اقتراح غريب، فقد جاءوا إلى أبي طالب، ومعهم عمارة بن الوليد سيد شبابهم وأنهد فتى في قريش وأجمله، فقالوا: يا أبا طالب خذ هذا الفتى، فلك عقله ونصره، واتخذه ولداً، فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل.

قال أبو طالب: والله لبئس ما تسومونني، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله مالا يكون أبداً.

الأسئلة

س٣: ضع علامة (√) أو علامة (×) أما العبارات التالية، مع تصحيح الخطأ:

أ) لمّا تكامل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعون سنة بدأت طلائع النبوة في الظهور، فكان يرى الرؤيا الصالحة فتقع كما يرى. ( )

ب) كانت مدة الدعوة السرية خمس سنوات. ( )

ج) بدأ النبي دعوته في الأقربين من أهل بيته، ثم دعا كافة بطون قريش. ( )

د) تراجع أبو طالب عن حماية ابن أخيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وترك أمره لقريش( )

س٢: ماذا تعرف عن:

أ) أبو كبشة الذي شبهته قريش بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

ب) مرحلة الدعوة السرية؟

س٣: تخيّر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس:

أ) في بداية النبوة ونزول الوحي انطلقت خديجة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أتت به إلى: (ورقة بن نوفل – سعيد بن زيد – أبي بكرٍ الصديق).

ب) أول السّابقين إيماناً بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الموالي: (عمّار بن ياسر – زيد بن حارثة – خبّاب بن الأرت).

ج) اجتمعت قريش لتكف الحجاج عن دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد ترأس ذلك الاجتماع: (أبو جهل بن هشام – عتبة بن ربيعة – الوليد بن المغيرة).

د) بعد صعود النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جبل الصفا ودعوته لقريش إلى الإسلام وإنذاره لهم؛ انفضَّ الناس وتفرقوا دون أي معارضة أو تأييد، ولم يتكلم أحدٌ سوى: (أبو لهب – أبو جهل – أبو طالب).

س٤: اختارت قريشٌ سبلاً شتى لمواجهة الدعوة النبوية والقضاء عليها، من بينها مواصلة السخرية والاستهزاء، فما القصد من ذلك؟

س٥: اذكر الأسباب الرئيسية لرفض مشركي مكة لدعوة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

التضيق على المسلمين وبوادر الهجرة

اعتداءات على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لما فشلت قريش ويئسوا، ورأوا أن الإنذار والتحدي والمساومة لم تجد نفعاً، بدأوا بالاعتداءات على ذات الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزادوا في تعذيب المسلمين والتنكيل بهم.

وحيث إن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان معززاً محتشماً محترماً، فقد تولى إيذاءه كبراء قريش ورؤساؤهم، ولم يجترئ على ذلك أذنابهم وعامتهم.

وكان النفر الذين يؤذونه في بيته أبو لهب، والحكم بن أبي العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وعدي بن حمراء الثقفي– وكانوا جيرانه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان أحدهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي، وكان يطرحها في برمته إذا نصبت، وكانوا إذا طرحوا عليه ذلك يخرج به على العود فيقف به على بابه، ويقول: يا بني عبد مناف! أي جوار هذا؟! ثم يلقيه في الطريق.

وكان أمية بن خلف إذا رآه همزه ولمزه؛ والهمز: الطعن والشتم علانية، أو كسر العينين والغمز بهما. واللمز: العيب والإغراء، وكان أخوه أُبيّ بن خلف يتوعد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويهدده بالقتل، وجلس عقبة بن أبي معيط إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسمع منه، فبلغ أُبياً – وكان صديقه – فعاتبه، وطلب منه أن يتفل في وجه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففعل.

أما أبو لهب فقد عاداه وآذاه من أول يوم ظهرت فيه الدعوة إلى الله، وكانت في عقد ابنيه عتبة وعتيبة ابنتا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقية وأم كلثوم، فقال لهما: رأسي من

رأسكما حرام إن لم تطلقا بنتي محمد، وقالت زوجته أيضاً: طلقاهما فإنهما قد صبأتا، فطلقاهما، وكانت زوجة أبي لهب– وهي أم جميل أروى بنت حرب – أيضاً عدوة لدودة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعوته، فكانت تأتي بالأغصان وفيها الشوك، فتطرحها في سبيل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالليل، حتى يعقر هو وأصحابه.

وسمعت بنزول ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾[المسد: ١]. فجاءت وفي يدها فهر – أي ملءُ الكف من الحجارة – وهي تبحث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو جالس مع أبي بكر عند الكعبة فأخذ الله ببصرها، فلم تكن ترى إلا أبا بكر، فقالت: أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما الله أني لشاعرة ثم قالت: (مُذَمماً عَصَيْنَا * وَأَمْرَهُ أَبيْنا * ودِيْنَهُ قَلَيْنَا)

ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله أما تراها رأتك، فقال: ما رأتني لقد أخذ الله ببصرها.

وكان الأخنس بن شريق الثقفي أيضاً ينال من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما أبو جهل فكأنه كان قد تحمل عبء الصد عن سبيل الله، وقد كان يؤذي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله، وينهاه عن الصلاة، ويفخر ويختال بما فعل، حتى شدد على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتوعده في يوم رآه يصلي، فانتهره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخذه بخناقه، وهزه قال: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القيامة]، فقال: تتوعدني يا محمد! والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئاً، وإني لأعز من مشى بين جبليها.

وقال أبو جهل لرفقته يوماً: واللات والعزى لئن رأيته لأطأن على رقبته، ولأُعَفِّرَنَّ وجهه. فأتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصلي ليطأ رقبته فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقى بيديه، فقالوا: مالك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه خندقاً من نار

وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً).

وحاز مثل هذه الشقاوة عقبة بن أبي معيط، فقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي يوماً عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجئ بسلا جزور بني فلان، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم عقبة بن أبي معيط، فجاء به وانتظر، فلما سجد وضعه بين كتفيه، فجعلوا يضحكون، ويحيل (أي يميل) بعضهم على بعض، وهو ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة وطرحته عن ظهره، فرفع رأسه، ثم قال: «اللهم عليك بقريش» فشق ذلك عليهم إذ دعا عليهم، وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سماهم رجلاً رجلاً: «اللهم عليك بفلان وفلان» وقد قتلوا كلهم يوم بدر.

وقد اتخذ رسول الله خطوتين هامتين بعد اشتداد أذى مشركي مكة له ولأصحابه:

الخطوة الأولى: أنه جعل دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي مركز الدعوة والعبادة ومقر التربية، لأنها كانت في أصل الصفا، بعيدة عن أعين الطغاة، فكان يجتمع فيها مع صحابته سراً، فيتلو عليهم آيات الله، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة: وبهذا التدبير وقى أصحابَهُ كثيراً من الأحداث التي كان يخشى وقوعها لو اجتمع بهم جهراً وعلانية، أما هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان يدعو الله ويدعو إليه جهراً بين ظهراني المشركين، لا يصرفه عن ذلك ظلم، ولا عدوان، ولا سخرية، ولا استهزاء.

الخطوة الثانية: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشار على المسلمين أن **يهاجروا إلى الحبشة**، بعد أن تأكد أن النجاشي ملك عادل لا يظلم عنده أحد.

الهجرة الأولى إلى الحبشة:

وفي رجب سنة ٥ من النبوة هاجر أول دفعة من المسلمين، وكانوا اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، رئيسهم عثمان بن عفان الأموي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعه زوجه رقية بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام.

خرج هؤلاء الصحابة سراً في ظلام الليل قاصدين ميناء شعيبة جنوب جدة، وكان من قدر الله أنهم وجدوا سفينتين تجاريتين فركبوهما حتى وصلوا إلى الحبشة.

أما قريش فلما علموا بخروجهم هاجوا وغضبوا، وأسرعوا في آثارهم حتى يلقوا عليهم القبض، ويردوهم إلى مكة، ليواصلوا التنكيل والتعذيب، ويصرفوهم عن دين الله، ولكن المسلمين فاتوهم إلى البحر، فرجعوا خائبين بعدما وصلوا إلى الساحل.

عودة المهاجرين إلى مكة:

وفي رمضان سنة خمس من النبوة أي بعد هجرة المسلمين بحوالي شهرين، خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المسجد الحرام، وحول الكعبة جمع كبير من قريش، فيهم ساداتهم وكبراؤهم، وكانت قد نزلت عليه سورة النجم، فقام فيهم، وأخذ يتلوها فجأة، وكان أروع كلام سمعوه قط، فاندهشوا لروعة هذا الكلام، وأخذ منهم كل مأخذ، فبقوا يستمعون إليه مبهوتين ساكتين، حتى إذا تلا في خواتم السورة زواجر وقوارع طارت لها القلوب، وتلا في الأخير ﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴾ [النجم:٦٢]. وخر ساجداً ثم سجد الجميع، ولم يملكوا أنفسهم.

وصل هذا الخبر إلى الحبشة، ولكن في صورة تختلف عن الواقع، فقد بلغهم أن قريشاً أسلموا، فرجعوا فرحين مستبشرين إلى مكة، فلما كانوا دون مكة ساعة من نهار عرفوا جلية الأمر، فمنهم مَنْ رجع إلى الحبشة، ومنهم من دخل مكة سراً أو في جوار أحد من قريش.

الهجرة الثانية إلى الحبشة:

واشتد البلاء والعذاب على المسلمين من قريش ندماً على ما فرط منهم من السجود مع المسلمين، وانتقاماً لما بلغهم عن النجاشي من حسن جواره للمهاجرين، ونظراً إلى هذه الظروف القاسية أشار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى، فهاجر اثنان أو ثلاثة وثمانون رجلاً وثماني عشرة امرأة، وكانت هذه الهجرة الثانية أشق من الأولى؛ لأن قريشاً كانوا متيقظين يتابعون حركات المسلمين، إلا أن المسلمين كانوا أكثر منهم تيقظاً، وأحسن منهم حكمة، وأحكم منهم خطوة، فقد وصلوا إلى الحبشة رغم كل الجهود.

وفد من قريش يصل الحبشة:

شقَّ على المشركين أن أفلت منهم المسلمون، ووصلوا إلى مأمن يأمنون فيه على أنفسهم وإيمانهم، فأرسلوا رجلين من وجهائهم ودهاتهم ليرجعوهم إلى مكة، وهما: عمرو بن العاص، وعبد الله بن ربيعة، وكانا إذ ذاك على الشرك.

ونزل الرجلان بالحبشة تحت خطة مدبرة، فاتصلا أولاً بالبطارقة، وساقا إليهم الهدايا، وذكرا لهم الهدف، ولقناهم الحجة، حتى وافقوهما، ثم حضرا إلى النجاشي، فقدما إليه الهدايا، ثم كلماه، فقالا: أيها الملك: إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء فارقوا دينهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلم بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه، وأيدهما البطارقة فيما قالاه حسب الخطة، ولكن النجاشي احتاط في الأمر، ورأى أن يسمع القضية من الطرفين حتى يتضح له الحق، فدعا المسلمين، وسألهم: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟

فتكلم جعفر بن أبي طالب عن المسلمين، وقال: أيها الملك: كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام – فعدد عليه أمور الإسلام – فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به دين الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم الله علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا، وظلمونا، وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك، أيها الملك!.

فلما سمع النجاشي هذا؛ طلب من جعفر قراءة شيء من القرآن، فقرأ عليه صدراً من سورة مريم فبكى النجاشي حتى ابتلت لحيته، وبكى الأساقفة حتى بَلُّوا مصاحفهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، ثم خاطب مندوبي قريش وقال: انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يُكادون، فخرجا.

وفي اليوم الثاني، قال وفد قريش للنجاشي: إنهم – أي المسلمين – يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فدعاهم النجاشي وسألهم عن ذلك، فقال جعفر: نقول فيه الذي جاءنا به النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: هو عبدالله ورسوله، وروحه، وكلمته، ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فأخذ النجاشي عوداً من الأرض، ثم قال: والله ما جاوز عيسى ابن مريم

ما قلت هذا العود. اذهبوا فأنتم شيوم – أي آمنون – بأرضي، من سبكم غرم، من سبكم غرم، من سبكم غرم، ما أحب أن لي دبراً – أي جبلاً – من ذهب، وأني آذيت رجلاً منكم، ثم أمر برد الهدايا على مندوبي قريش فخرجا إلى قومهم، وأقام المسلمون بخير دار مع خير جار.

اشتداد التعذيب ومحاولة قتل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

كان من الطبيعي أن يعود المشركون إلى ضراوتهم بعد الفشل، وفعلاً عادوا إلى الشدة والبطش بالبقية الباقية من المسلمين، بل مدوا أيديهم إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن ذلك أن عتيبة بن أبي لهب أتى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتسلط عليه بالأذى، وشق قميصه، وتفل في وجهه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن البزاق رجع على عتيبة فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهم أرسل عليه كلباً من كلابك، فخرج عتيبة في ركب إلى الشام، فلما نزلوا في الطريق طاف بهم الأسد، فقال: هو آكلي واللهِ، كما دعا محمدٌ عليَّ، قتلني وهو بمكة وأنا بالشام، فلما ناموا جعلوه في وسطهم، ولكن جاء الأسد وأخذه برأسه من بين الإبل والناس، وقتله.

ومن ذلك أن عقبة بن أبي معيط وطئ برجله على رقبة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم أخذ المشركون بعد فشلهم في شتى محاولاتهم لكف الدعوة، أخذوا يفكرون بجد في قتل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو أدى ذلك إلى سفك الدماء، ومما يدل على ذلك أن أبا جهل قال يوما لقريش: إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم، قالوا: والله لا نسلمك لشي أبداً، فامض لما تريد.

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف، وجاء رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقام يصلي، وغدت قريش في أنديتهم ينتظرون ما يفعله أبو جهل، وأقبل أبو جهل حتى دنا، ثم رجع منهزماً، منتقعاً لونه، مرعوباً، قد يبست يداه على حجره، حتى قذفه من يده. فقالت له قريش: مالك يا أبا الحكم؟ قال: قمت لأفعل ما قلت البارحة، فعرض لي فحل من الإبل ما رأيت مثل هامته وقصرته وأنيابه لفحل قط، فهم بي أن يأكلني، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذاك جبريل لو دنا لأخذه».

ثم حدث ما هو أشد من ذلك وأنكى، وذلك أن قريشاً اجتمعوا يوماً في الحطيم، وتكلموا في رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبينا هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبدأ يطوف بالبيت، فلما مر بهم غمزوه، فَعُرِف ذلك في وجهه، ثم مر بهم الثانية، فغمزوه بمثلها، فَعُرِف ذلك في وجهه، ثم مر بهم الثالثة، فغمزوه بمثلها، فوقف، ثم قال: أتسمعون يا معشر قريش: أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح، فأخذت القوم كلمته، كأن على رؤوسهم طائراً وقع، حتى إن أشدهم فيه وصاءة ليرفؤه (أي يسكنه ويرفق به) بأحسن ما يجد.

فلما كان الغد اجتمعوا كذلك يذكرون أمره، إذ طلع عليهم، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأخذوا بمجامع ردائه، وقالوا: أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباءنا؟ قال: أنا ذاك، فانقضوا عليه، هذا يحثه، وأقبل عقبة بن أبي معيط فلوي ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، وأتى الصريخ إلى أبي بكر: أدرك صاحبك، فجاء وأخذ بمكنبي عقبة، ودفعه عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخذ يضرب هذا، ويجاهد هذا، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، فانصرفوا عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أبي بكر، وضربوه ضرباً لا يعرف وجهه من أنفه، فحملته بنو تيم في ثوب وأدخلوه منزله، ولا يشكّون في موته، فتكلم آخر النهار، فسأل عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلاموه، وخرجوا من

عنده، وعرض عليه الطعام والشراب فأبى أن يأكل أو يشرب حتى يرى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فلما هدأ الليل وسكن الناس أوصلوه إلى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وهو في دار الأرقم، فلما وجده بخير ساغ له الطعام والشراب.

وفي أثناء هذه الظروف القاسية التي كان يمر بها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والمسلمون حدث ما أفضى إلى إسلام بطلين جليلين من أبطال قريش طالما استراح المسلمون بإسلامهما، وهما: حمزة بن عبد المطلب عم الرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا.

إسلام حمزة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ:

أما إسلام حمزة فسببه أن أبا جهل مر يوماً برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وهو عند الصفا، فنال منه وآذاه، ويقال إنه ضربه بحجر في رأسه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فشجه، ونزف منه الدم، ثم انصرف إلى نادي قريش عند الكعبة، وجلس معهم، وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان تنظر ما حدث من مسكن لها على الصفا، وبعد قليل أقبل حمزة من الصيد متوشحاً قوسه، فأخبرته الخبر، فخرج حمزة يسعى حتى قام على أبي جهل وسبه وقال له: تشتم ابن أخي، وأنا على دينه، ثم ضربه بالقوس، فشجه شجه منكرة، وثار الحيان: بنو مخزوم وبنو هاشم، فقال أبو جهل: دعو أبا عمارة – أي حمزة – فإني سببت ابن أخيه سباً قبيحاً.

وكان حمزة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أعز فتىً في قريش، وأقواهم شكيمة، حتى سمي أسد الله، أسلم في ذي الحجة سنة ست من النبوة.

إسلام عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ ورد فعل المشركين

بعد ثلاثة أيام من إسلام حمزة أسلم عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وذلك أنه خرج يوماً متوشحاً سيفه يريد أن يقتل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فلقيه رجل، فقال: أين تعمد يا عمر!

قال: أريد أن أقتل محمداً، قال: كيف تأمن من بني هاشم ومن بني زهرة، وقد قتلت محمداً؟ قال عمر: ما أراك إلا قد صبوت؟ قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر؟ إن أختك وزوجها قد صبوا، فمشى مغضباً حتى أتاهما، وعندهما خباب بن الأرت يقرئهما صحيفة فيها طه، فلما سمع حس عمر توارى في البيت، وسترت أخت عمر الصحيفة، فلما دخل، قال: ما هذه صبوتما؟ فقال له زوجها: يا عمر! أرأيت إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر عليه، فوطئه وطأ شديداً، فجاءت أخته فرفعته عن زوجها، فنفحها نفحة بيده فدمى وجهها، فقالت وهي غضبى: يا عمر إن كان الحق في غير دينك. أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فاستحى عمر وندم، قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرؤه، فقالت أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل، فقام فاغتسل ثم أخذ الكتاب فقرأه: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فقال: أسماء طيبة طاهرة، ثم قرأ طه حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ [طه: ١٤]. فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه؟ دلوني على محمد.

وخرج خباب فقال: أبشر يا عمر! فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لك يوم الخميس – وكان قد دعا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلك الليلة: اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك، بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام – ثم ذكر له خباب أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دار الأرقم التي في أصل الصفا.

فخرج عمر حتى أتى الدار وضرب الباب، فأطل رجل من صرير الباب فرآه متوشحاً السيف، فأخبر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستجمع القوم، فقال حمزة: مالكم؟ قالوا: عمر، فقال: وعمر، افتحوا له الباب، فإن يريد الخير بذلناه له، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه، ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داخل يوحى إليه، ثم خرج فأخذ بمجامع ثوب عمر وحمائل سيفه – وهو في الحجرة – فجبده بشدة، وقال: أما تنتهي يا عمر حتى

ينزل الله بك من الخزي والنكال ما نزل بالوليد بن المغيرة؟ ثم قال: اللهم هذا عمر بن الخطاب، اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب، فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد.

كان عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ذا شكيمة لا يرام، فلما أسلم ذهب إلى أشد قريش عداوة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإيذاء للمسلمين، وهو أبو جهل، فدق بابه، فخرج، وقال: أهلاً وسهلاً ما جاء بك؟ قال: جئتك لأخبرك أني آمنت بالله ورسوله محمد، فأغلق الباب في وجهه، وقال: قبحك الله، وقبح ما جئت به، وذهب عمر إلى خاله العاص بن هشام فأعلمه فدخل البيت، وذهب إلى جميل بن معمر الجمحي – وكان أنقل قريش للحديث –فأخبره أنه أسلم، فنادى جميل بأعلى صوته أن ابن الخطاب قد صبأ، فقال عمر: كذب، ولكني قد أسلمت.

عزة الإسلام والمسلمين بإسلام عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

وجد المسلمون عزة وقوة كبيرة بإسلام عمر، فقد كانوا قبل ذلك يصلون سراً، فلما أسلم عمر قال: يا رسول الله ألسنا على الحق وإن متنا وإن حيينا؟ قال: بلى، قال: فيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن، فخرجوا به في صفين، حمزة في أحدهما وعمر في الآخر، لهم كديد ككديد الطحين، حتى دخلوا المسجد الحرام، فلما نظرت إليهما قريش أصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، ولذلك سمي الفاروق.

قال بن مسعود: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر، وقال ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، وقال صهيب: لما أسلم عمر ظهر الإسلام، ودعي إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقاً، وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلط علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به.

مساومات قريش للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لما رأى المشركون قوة المسلمين وشوكتهم بعد إسلام حمزة وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا اجتمعوا لشورى بينهم، وليفكروا في أنسب خطوة يقومون بها في أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين، فقال لهم عتبة بن ربيعة– من بني عبد شمس بن عبد مناف، وكان سيداً مطاعاً في قومه – يا معشر قريش! ألا أقوم لمحمد فأكلمه، وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا؟ فقالوا: بلى يا أبا الوليد! فقم إليه فكلمه، فذهب إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو جالس في المسجد وحده. فقال: يا ابن أخي! إنك من حيث قد علمت، من خيارنا حسباً ونسباً، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت أحلامهم، وعبت آلهتهم ودينهم، وكفرت من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.

فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «قل يا أبا الوليد أسمع».

فقال: يا ابن أخي! إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً، وإن كان هذا الذي يأتيك رأياً من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه.

فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أو قد فرغت يا أبا الوليد»!

قال: نعم.

قال: «فاسمع مني».

قال: أفعل.

فقرأ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥﴾ [فصلت].

ومضى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقرأها عليه، وهو يستمع منه، وقد ألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما، فلما بلغ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣].

وضع عتبة يده على فم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وناشده الله والرحم مخافة أن يقع في ذلك، وقال: حسبك.

ولما انتهى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى السجدة سجد، ثم قال: «سمعت يا أبا الوليد»؟

قال: سمعت.

قال: «فأنت وذاك».

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش! أطيعوني واجعلوا لي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه، فاعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به.

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد.

قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

ولما فشل المشركون في هذا الإغراء والترغيب، فكروا في المساومة في الدين، فقالوا له: صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نعرض عليك خصلة واحدة لك فيها صلاح.

قال: «وما هي»؟

قالوا: تعبد آلهتنا سنة. ونعبد إلهك سنة، فإن كنا على الحق أخذت حظاً، وإن كنت على الحق أخذنا منه حظاً، فأنزل الله – تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون: ١ ٢].

إلى آخر السورة، وأنزل: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر].

وأنزل أيضاً: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [غافر].

وبهذه المواقف الصارمة تبين للمشركين أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائم بالدعوة إلى الدين، وليس بتاجر حتى يقبل المساومة أو التنازل في الثمن، فأرادوا التأكد من ذلك عن طريق أخرى، فأرسلوا إلى يهود يسألونهم عن أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت لهم أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث، فإن أخبر فهو نبي مرسل، وإلا فهو متقول. سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان أمرهم؟ فإن لهم حدثياً عجبا، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هي؟

فسألت عظماء قريش رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك، فنزلت سورة الكهف فيها قصة أولئك الفتية، وهم أصحاب الكهف، وقصة ذلك الرجل الطواف، وهو ذو القرنين.

ونزل في سورة الإسراء الرد على سؤالهم عن الروح، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء].

وكان هذا الاختبار يكتفي لاقتناع قريش بأن محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول حقاً، لو أرادوا الحق، ولكن أبي الظالمون إلا كفوراً.

مقاطعة مشركي مكة لبني هاشم (الصحيفة)

زادت حيرة المشركين إذ نفدت بهم الحيل، ووجدوا بني هاشم وبني المطلب مصممين على حفظ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقيام دونه كائناً ما كان، فاجتمعوا في خيف بني كنانة ليدرسوا الموقف الراهن، ويقضوا فيه، فاستشاروا ثم استشاروا حتى وصلوا إلى حل غاشم تحالفوا عليه، وهو أنهم لا يناكحون بني هاشم وبني المطلب، ولا يبايعونهم، ولا يجالسونهم، ولا يخالطونهم، ولا يدخلون في بيوتهم، ولا يكلمونهم، ولا يقبلون منهم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا إليهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقتل.

تحالفوا على هذا القرار، وكتبوا بذلك(**صحيفة**)علقوها في جوف الكعبة وكان الذي كتبها بغيض بن عامر بن هاشم، فدعا عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشلت يده أو بعض أصابعه.

وانحاز بعد ذلك بنو هاشم وبنو المطلب في شعب أبي طالب، سواء في ذلك مسلمهم وكافرهم – إلا أبا لهب – وقطعت عنهم الميرة والمادة. ومنع التجار من مبايعتهم، فجهد القوم حتى أكلوا أوراق الشجر، والجلود، وواصلوا الضر والفاقة، حتى سمعت أصوات النساء والصبيان يتضاغون جوعاً، ولم يكن يصل إليهم شيء إلا سراً، فكان حكيم بن حزام ربما يحمل قمحاً إلى عمته خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أما هم فكانوا لا يخرجون من الشعب إلا في الأشهر الحرم، فكانوا يشترون من العير التي تأتي من الخارج، إلا أن أهل مكة كانوا يزيدون عليهم في الثمن حتى لا يستطيعوا الشراء.

وكان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على رغم كل ذلك مستمراً في دعوته إلى الله ولا سيما في أيام الحج حينما كانت القبائل العربية تفد إلى مكة من كل صوب.

نقض الصحيفة وفك الحصار

وبعد نحو ثلاث سنوات قدر الله أن ينتهي هذا العدوان، فألقى في قلوب خمسة من أشراف قريش أن يقوموا بنقض الصحيفة وفك الحصار، وأرسل الله الأرضة، فأكلت كل ما في الصحيفة من القطيعة والجوار، ولم تترك إلا ذكر الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

فأما أشراف قريش الخمسة فأولهم: هشام بن عمرو بن الحارث من بني عامر بن لؤي، ذهب هذا الرجل إلى زهير أبن أبي أمية المخزومي – وهو ابن عاتكة عمة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ثم إلى المطعم بن عدي، ثم إلى أبي البختري بن هشام، ثم إلى زمعة بن الأسود. فذكر كل واحد منهم بالقرابة والرحم، ولامهم على قبول الجور، وحضهم على نقد الصحيفة، فاجتمعوا عند خطم الحجون، واتفقوا على خطة يقومون بها لنقض الصحيفة.

وصباحاً حين قامت أندية قريش في المسجد الحرام جاء زهير وعليه حلة، فطاف بالبيت، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة! نحن نأكل الطعام، ونلبس الثياب، وبنو هاشم وبنو المطلب هلكى، لا يبيعون ولا يبتاعون، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة.

فقال أبو جهل: كذبت، والله لا تشق.

فقال زمعة: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حين كتبت.

فقال أبو البختري: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها، ولا نقربه.

وقال المطعم بن عدي: صدقتما، وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها.

وصدقه أيضاً هشام بن عمرو.

فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل، وتُشُوّور فيه بغير هذا المكان.

وكان أبو طالب جالساً في ناحية المسجد، جاء ليخبرهم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبره أن الله سلط على صحيفتهم الأرضة، فأكلت ما فيها من جور وقطيعة وظلم، ولم تترك إلا ذكر الله، وقال بعدما أخبرهم بذلك: فإن كان كاذباً خلينا بينكم وبينه، وإن كان صادقاً رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا. قالوا: أنصفت.

وقام المطعم على إثر رده على أبي جهل ليشق الصحيفة، فوجدها قد أكلتها الأرضة، إلا «باسمك اللهم» وما فيها من اسم الله. فكان ما أخبر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آية من آيات الله رآها المشركون بأعينهم، لكنهم لم يزالوا مسترسلين في الغي.

أما الحصار فقد انتهى بعد ذلك، وخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه من الشعب.

وفد قريش بين يدي أبي طالب:

عادت الأمور بعد فك الحصار إلى ما كانت عليه من قبل، ولكن ما هي إلا أشهر حتى لحق أبا طالب المرض، وأخذ يشتد ويزداد، وكان قد جاور الثمانين، فشعرت قريش أنه لا قيام له من هذا المرض، فاستشاروا فيما بينهم وقالوا: انطلقوا بنا إلى أبي طالب، فليأخذ عن ابن أخيه وليعطه منا، فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون إليه شيء فتعيرنا به العرب، يقولون: تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه، فانطلقوا ودخلوا عليه وطلبوا منه أن يكف هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن آلهتهم، وهم يدعونه وإلهه، فدعاه أبو طالب وعرض عليه ما قاله القوم، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا عم إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم العجم الجزية، ففزعوا

وقالوا: كلمة واحدة؟ نعم! وأبيك عشراً، فما هي؟ قال: لا إله إلا الله، فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم، ويقولون: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥].

وفاة أبي طالب:

اشتد المرض بأبي طالب حتى حضرته الوفاة. ودخل عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أي عم! قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله»، فقالا: يا أبا طالب! أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر ما قال: على ملة عبد المطلب.

فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لأستغفرن لك مالم أنه عنك» فنزلت: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾[التوبة: ١١٣].

وكانت وفاته سنة عشر من النبوة، وذلك بعد الخروج من الشعب بستة أشهر، وقد كان عضداً لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحصناً احتمت به الدعوة الإسلامية من هجمات الكبراء والسفهاء، ولكنه بقي على ملة الأجداد فلم يفلح وكان من أهل النار.

قال العباس للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما أغنيت عن عمك؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك. قال: «هو في ضحضاح من النار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».

وفاة أم المؤمنين خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا:

توفيت أم المؤمنين خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وذلك في رمضان من نفس السنة العاشرة بعد وفاة أبي طالب بقليل، وكانت وزير صدق لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الإسلام، آزرته على إبلاغ الرسالة، وواسته بنفسها ومالها، وقاسمته الأذى والهموم فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آمنت بي إذ كفر

بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عَزَّوَجَلَّ ولدها إذ حرمني أولاد النساء».

وورد في فضائلها أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله! هذه خديجة قد آتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فأقرئ عليها السلام من ربها، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب.

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكرها دائماً، ويترحم عليها، وتأخذ به الرأفة والرقة لها كلما ذكرها، لما لها من مناقب جمة وفضائل كثيرة.

واشتد البلاء على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قومه بعد موت عمه أبي طالب وزوجه خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقد تجرؤوا عليه، وكاشفوه بالأذى.

زواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسودة ثم بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

وفي شوال – بعد الشهر الذي توفيت فيه خديجة – تزوج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسودة بنت زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وكانت تحت ابن عمها: السكران بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكانا من السابقين الأولين إلى الإسلام، وقد هاجرا إلى الحبشة، ثم رجعا إلى مكة، فتوفي بها السكران بن عمرو، فلما حلت تزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أما زواجه بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فكان أيضاً في شهر شوال ولكن بعد سودة بسنة، تزوجها بمكة وهي بنت ست سنين، ودخل بها في المدينة في شهر شوال في سنة الأولى من الهجرة وهي بنت تسع سنين، وكانت أحب أزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه، وأفقه نساء الأمة وهي الطاهرة المطهرة الصديقة، لها مناقب جمة وفضائل كثيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها.

مقدم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الطائف ثم خروجه منها

وفي هذه الظروف قصد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته، أو وينصروه، فخرج إليها ماشياً على قدميه، ومعه مولاه **زيد بن حارثة**، وكان

كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام حتى بلغ الطائف، ونزل على ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف، فدعاهم إلى الإسلام وإلى نصرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تبليغه، فلم يستجيبوا له، بل ردوا عليه أسوء رد، فتركهم وقصد الآخرين، ودعاهم إلى قبول الإسلام ونصرته، ولم يزل ينتقل من رئيس إلى رئيس، فلم يترك أحداً من أشرافهم إلا وكلمه، وقضى في ذلك عشرة أيام، لكن لم يجب له أحد، بل قالوا له: اخرج من بلدنا، وأغروا به صبيانهم وسفهاءهم وعبيدهم، فلما تهيأ وخرج وقفوا له في صفين، وأخذوا يسبونه ويشتمونه، ويرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبيه وقدميه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحتى اختضب نعلاه بالدم، وكان زيد بن الحارثة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقيه بنفسه، ويدافع عنه حتى انصرفوا عنه.

ثم خرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الطائف، وتقدم في طريقه إلى مكة، وهو محزون مما حصل له بالطائف، حتى إذا بلغ قرن المنازل، أظلته سحابة فيها جبريل ومعه ملك الجبال، فرفع صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأسه، فناداه جبريل، قال: إن الله بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت، ثم سلم ملك الجبال وقال: يا محمد!، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين – وهما جبلا مكة: أبو قبيس والذي يقابله –، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً.

وأفاق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من همه بمجيء هذا النصر، وتقدم في طريقه إلى مكة حتى نزل بنخلة، وأقام بها أياماً، وأثناء إقامته بها صرف الله إليه نفراً من الجن يستمعون القرآن، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين، وقد آمنوا به، ولم يشعر بهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى نزل بذلك القرآن: آيات من سورة الأحقاف، وآيات من سورة الجن.

وبعد أيام خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نخلة يريد مكة، وهو يرجو من الله الفرج والمخرج، ويخشى من قريش الشر والبطش، فأحب أن يحتاط لنفسه، فلما دنا من مكة مكث بحراء، وبعث رجلاً إلى ابن شريق ليجيره، فاعتذر بأنه حليف، والحليف لا يجير، فأرسل إلى سهيل بن عمرو، فاعتذر بأنه من بني عامر بن لؤي، وهم لا يجيرون على بني كعب بن لؤي، فأرسل إلى المطعم بن عدي، وهو من بني نوفل بن عبد مناف أخي هاشم بن عبد مناف جد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعبد مناف أعز بطن في قريش، فقال المطعم: نعم، وتسلح هو وبنوه، ثم أرسل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجاء ودخل المسجد الحرام، وطاف بالبيت، وصلى ركعتين، ثم انصرف إلى بيته، والمطعم بن عدي وأولاده محدقون برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسلاح. وكان المطعم قد أعلن في قريش أنه أجار محمداً، فقبلوا ذلك منه.

جدال المشركين للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطلبهم الآيات

وكان من جملة جدال المشركين أنهم كانوا يطلبون من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الآيات تعجيزاً وعناداً، وقد تكرر ذلك منهم مراراً في أوقات مختلفة، فمن ذلك أنهم اجتمعوا مرة في المسجد الحرام، واستشاروا بينهم، ثم أرسلوا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أشراف قومك قد اجتمعوا ليكلموك.

وحيث إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان حريصاً على رشدهم غاية الحرص، كما قال الله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦] فقد جاءهم سريعاً يرجو إسلامهم، فقالوا: إنك تخبرنا أن الرسل كانت لهم آيات، كانت لموسى عصا، ولثمود الناقة، وكان عيسى يحيي الموتى، فأتنا بآية كما أرسل الأولون، وكانوا يظنون أن من خواص الرسل أنهم يقدرون على إحداث مثل هذه الخوارق والمعجزات متى شاءوا، كما يقدر عامة الناس على أعمالهم الطبيعية، ثم بين

الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – أنه لو أراهم وأظهر لهم ما طلبوه من الآيات لا يؤمنون به. مع كونهم قد أقسموا بالله جهد أيمانهم ليؤمنن به، فقال﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ [الرعد: ٣١].

شق القمر:

كأن قريشاً لما رأوا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يجبهم إلى ما اقترحوه من الآيات الخاصة ظنوا أن طلب الآيات أحسن وسيلة لتعجيزه وإسكاته. ولإقناع عامة الناس بأنه متقول، وليس برسول، فتقدموا خطوة أخرى، وقرروا أن يطلبوا منه آية بغير تعيين، ليتبين للناس عجزه، فلا يؤمنوا به، فجاءوا إليه، وقالوا له: هل من آية نعرف بها أنك رسول الله؟ فسأل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه أن يريهم آية، فأراهم القمر قد انشق فرقتين: فرقة فوق الجبل – أي جبل أبي قبيس – وفرقه دونه، حتى رأوا حراء بينهما، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اشهدوا».

ورأت قريش هذه الآية جهاراً، بوضوح، ولوقت طويل، فسقط في أيديهم وبهتوا، ولكنهم لم يؤمنوا، بل قالوا: هذا سحر ابن أبي كبشة، لقد سحرنا محمد، فقال رجل: إن كان قد سحركم فإنه لا تستطيع أن يسحر الناس كلهم، فانتظروا ما يأتيكم به السفار، فجاء السفار فسألوهم، فقالوا: نعم قد رأيناه. ولكن قريشاً مع ذلك أصروا على كفرهم واتبعوا أهواءهم.

حادثة الإسراء والمعراج:

المراد بالإسراء توجه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلاً من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، والمراد بالمعراج صعوده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى العالم العلوي، وكان ذلك بجسده الشريف وروحه الأطهر.

والإسراء مذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]، واختلف في وقت الإسراء والمعراج، فقيل: هو السنة التي بعث فيها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقيل: سنة خمس من النبوة. وقيل: في ٢٧ رجب سنة عشر من النبوة. وقيل: في ١٧ رمضان سنة اثنتي عشرة من النبوة. وقيل: في المحرم، وقيل: في ١٧ ربيع الأول سنة ١٣ من النبوة.

أما تفصيل القصة فملخص الروايات الصحيحة: أن جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جاء بالبراق – وهو دابة فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه – والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمسجد الحرام، فركبه حتى أتى بيت المقدس ومعه جبريل، فربطه بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخل المسجد، فصلى فيه ركعتين، أم فيهما الأنبياء، ثم أتاه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاختار اللبن، فقال جبريل: أصبت الفطرة، هديت وهديت أمتك، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك.

ثم عرج به من بيت المقدس إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبريل ففتح له، فرأى هنالك آدم أبا البشر فسلم عليه، فرد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ورحب به، وأقر بنبوته.

ثم عرج به إلى السماء الثانية فاستفتح له جبريل ففتح، فرأى فيها ابني الخالة يحيى بن زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وعيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فسلم عليهما، فردا عليه ورحبا به وأقرا بنبوته.

ثم عرج إلى السماء الثالثة، فرأى فيها يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان قد أعطى شطر الحسن، فسلم عليه، فرد عليه، ورحب به، وأقر بنبوته.

ثم عرج به إلى السماء الرابعة فرأى فيها إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فسلم عليه، فرد عليه، ورحب به، وأقر بنبوبته.

ثم عرج به إلى السماء الخامسة فرأى فيها هارون بن عمران عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فسلم عليه فرد عليه، ورحب به، وأقر بنبوته.

ثم عرج به إلى السماء السادسة فلقي فيها موسى بن عمران عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فسلم عليه فرد عليه، ورحب به، وأقر بنبوته..

ثم عرج به إلى السماء السابعة فلقي فيها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فسلم عليه، فرد عليه، ورحب به، وأقر بنبوته، وكان مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وهو بيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه.

ثم رفع إلى سدرة المنتهى، وعندها توقف جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فعرج برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الجبار جَلَّ وَعَلَا، فدنا منه حتى سمع صريف الأقلام وكلمه ربه ولم يره، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وقد سئل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح مسلم عن أبي ذر أنه سأل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هل رأيت ربك، فقال: نور أنى أراه» أي حال بيني وبين رؤيته النور كما في لفظ آخر: «رأيت نوراً»، وفرض الله عليه وعلى أمته خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فرجع حتى مر على موسى فقال: بم أمرك ربك؟ قال: بخمسين صلاة، قال: أمتك لا تطيق ذلك، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فالتفت إلى جبريل، فأشار أن نعم إن شئت، فرجع فوضع عنه عشراً، ثم مر بموسى فسأله فأخبره فأشار عليه بسؤال التخفيف، فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله عَزَّ وَجَلَّ حتى جعلها خمساً، ثم مر بموسى فأشار بالرجوع وسؤال التخفيف، وقال: لقد راودت بني إسرائيل

على أدنى من هذا فضعفوا عنه وتركوه، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قد استحييت من ربي، ولكني أرضى وأسلم، فنودي أن قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي، هي خمس (في الفرض) وهن خمسون (في الأجر)، لا يبدل القول لدي.

ثم رجع عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من ليلته إلى مكة المكرمة، فلما أصبح في قومه أخبرهم بما أراه الله عَزَّوَجَلَّ من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم وأذاهم له، فمنهم من صفق، ومنهم من وضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً، وسعى رجال إلى أبي بكر الصديق، وأخبروه الخبر، فقال: إن كان قال ذلك فقد صدق، قالوا: أتصدقه على ذلك؟ قال: إني لأصدقه على أبعد من ذلك، أصدقه على خبر السماء في غدوة أو روحة، فسمي الصديق.

وقام الكفار يمتحنونه فسألوه أن يصف لهم بيت المقدس، ولم يكن رآه قبل ذلك، فجلاه الله له حتى عاينه، فطفق يخبرهم عن آياته، يصفه لهم باباً باباً وموضعاً موضعاً، فلم يستطيعوا أن يردوا عليه، بل قالوا: أما النعت فو الله لقد أصاب.

وسألوه عن عير لهم قادمة من الشام، فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها ووقت قدومها، وعن البعير الذي يقدمها، وكان الأمر كما قال، ولكن أبى الظالمون إلا كفورا.

وصبيحة يوم الإسراء جاء جبريل وعلم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيفية الصلوات الخمس وأوقاتها، وكانت الصلاة قبل ذلك ركعتين في الصباح، وركعتين في المساء.

عرض الإسلام على القبائل والأفراد:

كان من دأب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ أمره الله بالجهر بالدعوة أنه كان يخرج في موسم الحج أيام أسواق العرب إلى منازل القبائل فيدعوهم إلى الإسلام، وقدر الله أن يؤمن رجال من غير أهل مكة في الزمن الذي كانت الدعوة تمر فيه بأصعب مراحلها في مكة، ومن هؤلاء الرجال: **سويد بن الصامت** – كان شاعراً لبيباً، من سكان يثرب، يسمى بالكامل، لشرفه وشعره. أتى مكة حاجاً أو معتمراً. فدعاه رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الإسلام، فأسلم، و**أبو ذر الغفاري** –**هو جندب بن جنادة** الذي مدحه الرسول بالصدق ودعا له وقال فيه: (**ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذ**)، **وطفيل بن عمرو الدوسي** – كان شاعراً لبيباً، رئيس قبيلته دوس في ناحية اليمن. قدم مكة سنة ١١ من النبوة. و**ضماد الأزدي** – من أزد شنوءة من اليمن، كان يرقي من الجنون والجن والشياطين. فجاء مكة فسمع سفهاء يقولون: إن محمداً مجنون، فجاء ليرقيه. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن الحمد لله، نحمده، و نستعينه، ومن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد.

فاستعاد ضماد هذه الكلمات ثلاث مرات، ثم قال: سمعت قول الكهنة والسحرة والشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، لقد بلغن قاموس البحر، هات يدك أبايعك على الإسلام، فبايعه.

الإسلام يدخل يثرب (المدينة):

جاء ستة من أهل يثرب كلهم من الخزرج إلى الحج وهم: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث بن رفاعة (عوف بن عفراء)، ورافع بن مالك بن العجلان، وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبدالله بن رئاب.

جاء هؤلاء للحج في جملة من جاء سنة ١١ من النبوة، وكان أهل يثرب يسمعون من اليهود حينما ينالون منهم في الحرب ونحوها، أن نبياً سيبعث الآن، قد أظل زمان بعثته، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كانوا بعقبة منى مر بهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلاً، وهم يتكلمون، فلما سمع الصوت عمدهم حتى لحقهم، وقال: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج. قال: موالي اليهود؟ أي حلفاؤهم – قالوا: نعم، قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى! فجلسوا معه، فشرح لهم حقيقة الإسلام، وتلا عليهم القرآن،

ودعاهم إلى الله – عَزَّوَجَلَّ – فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به اليهود، فلا تسبقنكم إليه، فأسرعوا إلى الإسلام. وقالوا: إنا قد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشر ما بينهم، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك. ووعدوه القيام بالدعوة إلى دينه، والمقابلة في الحج القادم.

بيعة العقبة الأولى:

فلما كان حج العام المقبل – سنة ١٢ من النبوة – قدم اثنا عشر رجلاً، منهم عشرة من الخزرج، واثنان من الأوس وهما أبو الهيثم بن التيهان و عويم بن ساعدة، فأما العشرة من الخزرج فخمسة منهم هم الذين جاءوا في الماضي غير جابر بن عبدالله بن رئاب وخمسة آخرون وهم عبادة بن الصامت ومعاذ بن الحارث وذكوان بن عبد القيس ويزيد بن ثعلبة والعباس بن عبادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين.

واجتمع هؤلاء برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعقبة منى، فعلمهم الإسلام، وقال لهم: تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف. فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً، فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً، فستره الله، فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه، فبايعوه على ذلك.

فلما رجعوا إلى يثرب بعث معهم مصعب بن عمير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ليقرئهم القرآن ويفقههم في الدين، ونزل مصعب بن عمير على أبي أمامة أسعد بن زرارة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ونشطا في نشر الإسلام، وأسلم على أيديهما رئيس الأوس سعد بن معاذ وابن عمه أسيد بن خضير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ثم رجع سعد بن معاذ إلى قومه، فقال: يا بني عبد الأشهل! كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً. قال. فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ

حرامٌ حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة، إلا رجل واحد اسمه الأصيرم، وتأخر إسلامه إلى يوم أحد، ثم أسلم وقتل شهيداً في سبيل الله قبل أن يسجد لله سجدة، وعاد مصعب بن عمير إلى مكة قبل حلول موعد الحج يحمل بشائر مثل هذا الفوز.

بيعة العقبة الثانية

وفي موسم الحج سنة ١٣ من النبوة قدم كثير من أهل يثرب من المسلمين والمشركين، وقد قرر المسلمون أن لا يتركوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة يطوف في جبالها، ويطرد ويخاف، فاتصلوا به سراً، واتفقوا على عقد اجتماع سري في أوسط أيام التشريق ليلاً في الشعب الذي عند جمرة العقبة.

فلما جاء الموعد ناموا في رحالهم مع قومهم، حتى إذا مضى ثلث الليل الأول أخذوا يتسللون، فيخرج الرجل والرجلان حتى اجتمعوا عند العقبة، وهم ثلاثة وسبعون رجلاً، اثنان وستون من الخزرج، وأحد عشر من الأوس، ومعهم امرأتان: نسيبة بنت كعب من بني نجار، وأسماء بنت عمرو من بني سلمة، وجاءهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه عمه العباس بن عبد المطلب. كان على دين قومه، ولكن أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له.

وكان العباس أول من تكلم وكان لايزال على دين قومه، فقال لهم: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يزال في عز من قومه ومنعة في بلده، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإلا فمن الآن فدعوه.

فأجاب المتكلم عنهم – وهو البراء بن معرور – وقال: نريد الوفاء والصدق وبذل الأرواح دون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتكلم يا رسول الله! فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، فتكلم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتلا القرآن ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام

واشترط لربه: أن يعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئاً، واشترط لنفسه ولربه أيضاً، أنهم قالوا له على ما نبايعك؟ فقال: على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقوموا في الله، لا تأخذكم في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة، وفي رواية عن عبادة (بايعناه) على أن لا ننازع الامر أهله، فأخذ بيده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البراء بن معرور وقال: نعم، والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع عنه أزرنا، فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة – أي السلاح – ورثناها كابراً عن كابر، فاعترض القول أبو الهيثم بن التَّيِّهَان والبراء يكلم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالًا، وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله إن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال: «بل الدَّمُ الدَّمُ، والهَدْمُ الْهَدْمُ، أنا منكم وأنتم منى، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم» ومعنى ذلك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكرهم بالقرابة والجوار والنصرة التي كانت منهم رضوان الله عليهم فأنتم مني وأنا منكم، دمي هو دمكم أسالم من تسالمون وأحارب من تحاربون، فقاموا إليه رجلاً رجلاً وبايعوه.

هذه هي بيعة العقبة الثانية، وكانت حقاً أعظم بيعة وأهمها في حياة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تغير بها مجرى الأحداث وتحول خط التاريخ، إذ بدأت الهجرة من مكة إلى المدينة فبدأت فرادى ثم جماعات ثم هجرة الصادق المصدوق نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه الصديق أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه وما تخلل ذلك من أحداث مهمة كما سيتضح في موضعه.

الأسئلة

س٣: ضع علامة (√) أو علامة (×) أما العبارات التالية، مع تصحيح الخطأ:

أ) لّما عُرِج بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بيت المقدس إلى السماء الدنيا واستفتحت له؛ رأى هنالك إبراهيم عليه السلام فسلم عليه. ( )

ب) لما فشلت قريش ويئسوا من القضاء على الدعوة؛ بدأوا بالاعتداءات على ذات الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزادوا في تعذيب المسلمين والتنكيل بهم. ( )

ج) في رجب سنة ٥ من النبوة هاجرت أول دفعة من المسلمين إلى الجبشة، وكانوا اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، رئيسهم عثمان بن عفان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ( )

د) كانت بيعة العقبة الثانية في موسم الحج سنة ١٠ من النبوة. ( )

س٢: اتـخذ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدة خطوات بعد اشتداد أذى مشركي مكة عليه وعلى أصحابه، تحدّث عنها.

س٣: تخيّر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس:

أ) كان إسلام أسد الله حمزة بن عبد المطلب في ذي الحجة سنة: (ست من الهجرة- ست من النبوة – سبع من النبوة)

ب) أسلم الفاروق عمر بن الخطاب بعد إسلام أسد الله حمزة بن عبد المطلب بـ: (ثلاثة أيام – أربعة أيام – خمسة أيام).

ج) تحالف كفار قريش على مقاطعة بني هاشم، وكتبوا بذلك صحيفةً علقوها في جوف الكعبة، وكان الذي كتبها: (عقبة بن أبي معيط – بغيض بن عامر بن هاشم – صفوان بن أمية).

د) كانت بيعة العقبة الثانية سنة ١٣ من النبوة، فاجتمع كثير من أهل يثرب عند العقبة، وعددهم: (ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان - سبعون رجلاً وامرأة - ثلاثة وستون رجلاً وامرأتان).

س٤: تحدث عن مقاطعة كفار مكة لبني هاشم، وكيف تم نقض الصحيفة وفك الحصار؟

س٥: متى كان خروج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الطائف؟ وكيف كان موقفهم من دعوته؟

س٦ تحدث باختصار عن:

أ) حادثة الإسراء والمعراج.

ب) انشقاق القمر.

ج) دور أم المؤمنين خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في شد أزر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الوحدة الثانية

العهد المدني

- (مقدمات الهجرة النبوية)
- (وصول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمدينة وأهم أعماله فيها)
- (السرايا والغزوات)
- (البيت النبوي الطاهر والشمائل المحمدية)

مقدمات الهجرة النبوية

رؤيا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل هجرته للمدينة:

بعد هذه البيعة – بيعة العقبة الثانية – بدأت هجرة عامة المسلمين إلى المدينة، بينما كان بعض الصحابة قد هاجر قبلها، وقد أري رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دار هجرة المسلمين وأخبرهم بها، قال: «رأيت أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي – أي ظني – إلى اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب»، وفي رواية: «أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهراني حرتين، فإما أن يكون هجر أو يثرب».

وأول من هاجر أبو سلمة المخزومي زوج أم سلمة، خرج مع زوجته وابنه، فمنعها قومها منه، وانتزع آل أبي سلمة ولده منها. فانطلق أبو سلمة وحده إلى المدينة، وذلك قبل بيعة العقبة بنحو سنة، ثم أطلقوا زوجته بعد نحو سنة فلحقت به، وهاجر بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة وزوجته ليلى بنت أبي حثمة، وعبدالله بن أم مكتوم.

تتابع المسلمون في الهجرة، وكانوا يتسللون خفية، وخشية قريش، حتى هاجر عمر بن الخطاب، فخرج علنا، وتحدى قريشاً فلم يجترئ أحد على الوقوف في وجهه، وقدم المدينة في عشرين من الصحابة، وهاجر المسلمون كلهم إلى المدينة، ورجع إليها عامة من كان بأرض الحبشة، ولم يبق بمكة منهم إلا أبو بكر وعلي وصهيب وزيد بن حارثة وقليل من المستضعفين الذين لم يقدروا على الهجرة.

وتجهز أبو بكر للهجرة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم. فحبس أبو بكر نفسه عليه ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده، استعداداً لذلك.

تآمر قريش في دار الندوة على قتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

جن جنون قريش لما رأوا أن المسلمين وجدوا دار حفظ ومنعة، ورأوا في هجرتهم واجتماعهم بالمدينة خطراً على دينهم وكيانهم وتجارتهم، فاجتمعوا في دار الندوة صباح يوم الخميس ٢٦ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة، وليدرسوا خطة تفيد التخلص من هذا الخطر خاصة وأن صاحب الدعوة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يزال في مكة، ويخشى أن يخرج منها في عشية أو ضحاها، وقد حضر الاجتماع وجوه بارزة من سادات قريش. وحضره أيضاً إبليس في صورة شيخ جليل من أهل نجد بعد أن استأذنهم، وطرحت القضية على المجتمعين، فقال أبو الأسود نخرجه من أرضنا، ونصلح أمرنا، ولا نبالي أين ذهب، فقال الشيخ النجدي: إنكم ترون حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال، فإذا خرج فلا غرو أن يحل على حي من العرب فتجتمع حوله الجموع، فيطأكم بهم في بلادكم، ثم يفعل بكم ما أراد. أروا فيه رأيا غير هذا.

قال أبو البختري: احبسوه وأغلقوا عليه الباب، حتى يدركه ما أدركه الشعراء قبله من الموت، فقال الشيخ النجدي: والله لئن حبستموه ليخرجن أمره إلى أصحابه، وهم يفضلونه على الآباء والأبناء، فأوشكوا أن يثبوا عليكم، وينزعوه منكم، ثم يكاثروكم به، حتى يغلبوا على أمركم، فانظروا في غير هذا الرأي.

فقال أبو جهل: إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد، نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ونعطي كلا منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه ويضربوه ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فيفترق دمه في القبائل، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب

قريش كلهم، فيرضون بالدية فنعطيها لهم، عندها قال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل: هذا الرأي الذي لا أري غيره، وأقر المجتمعون هذا الرأي، وانفضوا، واخذوا يستعدون ويرتبون أنفسهم لتنفيذ هذا القرار، وكان هذا مكراً من قريش، وعند الله مكرهم، فخيبهم من حيث لا يشعرون، فقد نزل جبريل وأخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمؤامرة قريش وأن الله أذن له في الهجرة، وحدد له وقت الخروج، وبين له خطة الرد على مكر قريش فقال: «لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه».

وخرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في نحر الظهيرة، حين يستريح الناس في بيوتهم، إلى بيت أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأبرم معه أمور الهجرة، فجهزا الراحلتين إلى بيت أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ واستأجرا عبدالله بن أريقط الليثي – وكان على دين قريش – ليكون دليلاً لهما في الطريق، وكان هادياً ماهراً بالطرق، وواعداه جبل ثور بعد ثلاث ليال. ثم استمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أعماله اليومية حسب المعتاد، حتى لم يشعر أحد بأنه يستعد للهجرة أو لأي أمر آخر اتقاء مما قررته قريش.

وكان من عادة الرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينام في أوائل الليل بعد صلاة العشاء، ويخرج في النصف الأخير من الليل إلى المسجد الحرام، ويصلي فيه صلاة التهجد – قيام الليل – فأضجع علياً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على فراشه تلك الليلة، وأخبره بأنه لا يصيبه مكروه، فلما نام عامة الناس وهدأ الليل جاء المتآمرون سراً إلى بيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطوقوه، ورأوا على بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نائماً على فراشه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متسجياً ببرده الحضرمي الأخضر، فظنوه محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخذوا يختالون زهواً، ويرصدونه حتى إذا قام وخرج وثبوا عليه، وكان هذا جواب مكرهم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ **[الأنفال:٣٠]**.

خروجه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البيت وهجرته إلى المدينة:

وخرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بيته وهم مطوقون به، فذر تراب البطحاء على رؤوسهم، وهو يتلو قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[يس: ٩]، فأخذ الله بأبصارهم فلم يشعروا به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومضى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيت أبي بكر، ومن خوخة في داره خرجا حتى لحقا بغار ثور قبل بزوغ الفجر، ولما انتهيا إلى الغار دخله أبو بكر أولاً حتى إذا كان فيه شيء يصيبه هو دونه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكسحه ووجد فيه ثقوباً فسدها بشق إزاره، وبقى جحر أو جحران ألقمهما رجليه، ثم دخل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنام في حجره، ولدغ أبو بكر في رجله، ولكنه لم يتحرك لمكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذهب الألم.

وكمنا في الغار ثلاث ليال، وكان عبدالله بن أبي بكر يبيت عندهما، وكان شاباً فطناً ذكياً، فيخرج من عندهما حتى يصبح في قريش كأنه بات بمكة، وكان يسمع مكائد قريش وأخبارهم فكان يأتيهما بها حين يختلط الظلام، وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يرعى الغنم، فكان يأتيهما بها حين تذهب ساعة من الليل. فيبيتان في لبنها، ثم ينعق بها في غلس، ويتبع بها أثر عبدالله بن أبي بكر ليعفي عليه.

أما قريش فبقيت فتيانها منتظرين قيام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخروجه حتى أصبحوا، فلما أصبحوا قام علي من فراش رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسقط في أيديهم وسألوه عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: لا علم لي به، فضربوه وسحبوه إلى الكعبة، وحبسوه ساعة، ولكن بدون جدوى. ثم جاءوا إلى البيت أبي بكر وسألوا ابنته أسماء عنه فقالت: لا أدري، فلطمها الخبيث أبو جهل لطمة طرح منها قرطها. ثم أرسلوا الطلب في كل جهة، وجعلوا مائة ناقة عن كل واحد منهما لمن يأتي بهما حيين أو ميتين، وقد

وصلوا في الطلب إلى باب الغار بحيث لو طأطأ أحدهم رأسه ونظر إلى قدميه لرأهما، حتى اشتد حزن أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا.

التوجه إلى المدينة:

في ليلة الاثنين غرة ربيع الأول سنة ١هـ جاء الدليل عبدالله بن أريقط الليثي بالراحلتين إلى جبل ثور حسب الموعد، فارتحل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأبو بكر، وصحبهما عامر بن فهيرة، وسلك بهما الدليل في اتجاه الجنوب نحو اليمن حتى أبعد، ثم اتجه إلى الغرب نحو ساحل البحر الأحمر، ثم اتجه إلى الشمال على مقربة من الساحل، وسلك طريقاً لا يسلكه الناس إلا نادراً.

وفي الطريق مرا بخيمتي أم معبد الخزاعية عند مكان يقال له قديد، فسألاها هل عندها شيء؟ فاعتذرت عن القرى وأخبرت أن الشاء عازب – أي بعيدة المرعى والكلأ – وكانت في جانب الخيمة شاة خلفها الجهد عن قطيع الغنم، ولم تكن فيها قطرة من لبن، فاستأذن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليحلبها، فلما حلبها درت باللبن حتى امتلأ منه إناء كبير يحمله الرهط بمشقة، فسقاه أم معبد حتى رويت، ثم سقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب، ثم حلب فيه ثانياً، حتى ملأ الإناء، وتركه عندها وارتحلوا.

وجاء زوجها فتعجب حين رأى اللبن، وسألها عنه، فأخبرته الخبر، ووصفت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من مفرقه إلى قدمه ومن كلامه إلى أطواره وصفاً دقيقاً جداً، فقال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا.

ثم لما جاوزا قديداً تبعهما سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، على فرس له، طمعا في جائزة قريش، فلما دنا منهم عثرت به فرسه حتى خر عنها، حتى إذا دنا منهم بحيث

يسمع قراءة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو لا يلتفت، وأبوبكر يكثر الالتفاف، ساخت يدا فرسه في الأرض حتى بلغتا الركبتين وخر عنها، ثم زجرها فنهضت فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة صار لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان، وعلم أن أمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيظهر، فناداهم بالأمان، فوقفوا حتى جاءهم، فأخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما قررته قريش، وما يريد بهما الناس، وعرض عليه الزاد والمتاع فلم يأخذ منه شيئاً، وطلب منه أن يخفي أمره عن الناس، واستكتبه سراقة كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتبه في أديم فدعا له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي رواية أن النبي صلى عليه وسلم قال لسراقة: (كيف بك إذا لبست سواري كسرى وتاجه). فلما فتحت فارس و المدائن و غنم المسلمون كنوز كسرى أتى أصحاب رسول الله بها بين يدي عمر بن الخطاب وهو الخليفة آنذاك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فأمر عمر بأن يأتوا له بسراقة، و قد كان وقتها شيخاً كبيراً قد جاوز الثمانين من العمر، و كان قد مضى على وعد رسول الله له أكثر من خمس عشرة سنة فألبسه سواري كسرى و تاجه و كان رجلاً كثير شعر الساعدين فقال له ارفع يديك، وقل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة، وهذا من دلائل نبوته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في البخاري.

ورجع سراقة فقال لمن وجده في الطلب: قد استبرأت لكم الخبر، قد كفيتم ما ههنا شيء حتى أرجعهم.

وفي الطريق لقيه بريدة بن الحصيب الأسلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في سبعين راكبا فأسلم هو ومن معه، وصلوا خلفه صلاة العشاء الآخرة، ولقيهما في بطن ريم – اسم واد الزبير بن العوام في ركب من المسلمين كانوا قافلين من الشام، فكساهما الزبير ثياباً بياضاً.

النزول بقباء:

وفي يوم الاثنين – الثامن من شهر ربيع الأول سنة ١٤ من النبوة – وهي السنة الأولى من الهجرة – نزل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقباء.

وكان أهل المدينة حينما سمعوا بخروج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخرجون كل غداة إلى الحرة، حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعد طول الانتظار، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى[1] رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب! هذا جدكم – أي حظكم – الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، وسمعت فيهم الوجبة والتكبير فرحاً بقدوم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخرجوا للقائه بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف بقباء، ولما نزل بقباء جلس صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحيى أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ظنا منه أنه هو الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لظهور الشيب في شعره – حتى أصابت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشمس، فظلل عليه أبو بكر بردائه، فعرف الناس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ونزل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقباء على كلثوم بن الهدم، وقيل: على سعد بن خيثمة، ومكث بها أربعة أيام، أسس أثناءها مسجد قباء، وصلى فيه، فلما كان اليوم الخامس – يوم الجمعة – ركب بأمر الله، وأبو بكر ردفه، وأرسل إلى أخواله بني النجار، فجاءوا متقلدين السيوف، فسار نحو المدينة، وهم حوله وأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فجمع بهم في بطن الوادي، وهم مائة رجل.

---

(١) صعد.

الدخول في المدينة:

ثم اتجه نحو المدينة، وقد زحف الناس للاستقبال، وارتجت البيوت بالتحميد، وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يمر بدار من دور الأنصار إلا أخذوا خطام ناقته يقولون: هلم إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة، فلما وصلت الناقة إلى موضوع المسجد النبوي بركت، فلم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً، ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول فنزل عنها، فجعل الناس يكلمونه في النزول عليهم، وبادر أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فأدخل رحله في بيته، فجعل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: المرء مع رحله، وأخذ أسعد بن زرارة بزمام راحلته فكانت عنده، وسابق سراة الأنصار في استضافة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكانت الجفان تأتيه منهم كل ليلة، فما من ليلة إلا وعلى بابه الثلاث أو الأربع منها.

هجرة آل بيته وآل بيت أبي بكر إلى المدينة:

ومكث علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بمكة بعد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثاً، وأدى ودائع كانت عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل مكة، ثم خرج ماشياً على قدميه حتى لحق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقباء، ونزل على كلثوم بن الهدم.

ولما استقر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة، فقدما بفاطمة وأم كلثوم بنتي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبأم المؤمنين سودة بنت زمعه زوجته، وأمه أم أيمن، وأسامة بن زيد. وخرج معهم عبدالله بن أبي بكر بعيال أبي بكر: أم رومان، وأسماء، وعائشة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وعنهن أجمعين — فنزلوا عند حارثة بن النعمان.

مناخ المدينة:

ولما نزل المهاجرون بالمدينة أصابهم هم حزن، لفراقهم أرضهم وديارهم التي نشأوا بها وترعرعوا فيها فأخذوا يذكرون تلك الأرض ويحنون إليها، وزاد ذلك شدة أن المدينة كانت بها حمى، فلما نزلوا بها أصابتهم حمى، فدعا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه عَزَّ وَجَلَّ وقال: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها، وبارك في صاعها ومدها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة»، وأجاب الله دعاه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستراح المسلمون من الأمراض، وأحبوا المدينة.

الأسئلة

س١: تخيّر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس:

أ) أول من هاجر إلى المدينة المنورة: (جعفر بن أبي طالب أبو سلمة المخزومي عثمان بن عفان).

ب) عندما عزم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الهجرة؛ خرج في نحر الظهيرة إلى بيت: (علي بن أبي طالب – أبي بكر الصديق – عبدالله بن أريقط).

ج) في ليلة الاثنين غرّة ربيع الأول سنة ١هـ جاء الدليل عبدالله بن أريقط الليثي بالراحلتين إلى رسول الله وأبي بكر في: (جبل ثور – غار حراء – جبل أبي قبيس).

د) مكث بمكة بعد هجرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أيام، وأدى ودائع كانت عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل مكة، ثم خرج ماشياً على قدميه حتى لحق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقباء: (زيد بن ثابت – علي بن أبي طالب – بلال بن رباح).

س٣: ضع علامة (√) أو علامة (×) أما العبارات التالية، مع تصحيح الخطأ:

أ) تتابع المسلمون في الهجرة على المدينة، وكانوا يتسللون خفيةً خشية قريش، حتى هاجر عمر بن الخطاب، فخرج علناً وتحدى قريشاً، فلم يجترئ أحد على الوقوف في وجهه. ( )

ب) عندما تآمرت قريش على قتل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان اجتماعهم في دار الندوة صباح يوم الخميس ٢٦ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة. ( )

ج) لما جاوز النبي قديداً في هجرته إلى المدينة تبعه سراقة بن مالك المدلجي على فرسٍ له، طمعا في جائزة قريش. ( )

د) نزل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقباء في يوم الاثنين، الثامن من شهر ربيع الأول سنة ١٤ من النبوة، وهي السنة الأولى من الهجرة. ( )

س٣: تحدث عن دخول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة؟

س٤: كيف كان مناخ المدينة عندما نزلها المهاجرون المسلمون من مكة؟

وصول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمدينة وأهم أعماله فيها

لما استقر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة بدأ الاهتمام بعدة أمور إلى جانب استمراره في الدعوة إلى الله وأول هذه الأمور:

بناء المسجد النبوي:

وهي أول خطوة اتخذها في هذا السبيل، واشترى لذلك الأرض التي بركت بها ناقته، وكانت لغلامين يتيمين، وكانت مائة ذراع في مائة ذراع تقريباً، وفيها قبور المشركين، وخرب ونخل وشجرة من غرقد فنبشت القبور، وسويت الخرب، وقطعت الشجرة والنخل، وصفت في قبلة المسجد، وأقيمت الحيطان من اللبن والطين، وجعلت العمد من الجذوع، وفرشت الأرض بالرمال والحصباء، وجعلت له ثلاثة أبواب، وكانت القبلة في الشمال إلى بيت المقدس.

وكان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينقل الحجارة واللبن مع المهاجرين والأنصار، ويرتجز ويرتجزون، فيزيدهم ذلك نشاطاً، وبنى بجانب المسجد حجرتين بالحجارة واللبن، وسقفهما بالجريد والجذوع، إحداهما لسودة بنت زمعة، والثانية لعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بعد قدومها قريباً في شوال سنة ١هـ.

فرضية الأذان:

وبدأ المسلمون يحضرون للصلوات الخمس في جماعة، ويتحينون أوقاتها، فيتعجل بعضهم ويتأخر البعض، فاستشار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون في علامة يعرفون بها حضور الصلاة، فأشار بعضهم برفع النار، وبعضهم بالنفخ في البوق، وبعضهم بضرب

الناقوس، فقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أولا تبعثون رجلاً ينادي بـ«الصلاة جامعة» فقبل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الرأي وعمل به، ثم أن عبدالله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رأى الأذان في المنام فجاء وأخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إنها لرؤيا حق، وأمره أن يلقي على بلال حتى ينادي بها، لأنه أندى صوتاً منه، فأذن بلال، وسمع صوته عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فجاء يجرر رداءه وقال: والله لقد رأيت مثله، فتأكد بذلك الرؤيا، وصار الأذان أحد شعار الإسلام منذ ذلك اليوم.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

كان من سجايا الأنصار وكرمهم أنهم كانوا يتنافسون في إنزال المهاجرين واستضافتهم في بيوتهم، وكانوا كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الحشر، ثم زاد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الحب والإيثار قوة بعقد المؤاخاة بينهم وبين المهاجرين، فجعل كل أنصاري ونزيله أخوين، وكانوا تسعين رجلاً، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار، فآخى بينهم على المؤاساة، وأنهم يتوارثون فيما بينهم بعد الموت، دون ذوي الأرحام، ثم نسخ التوارث وبقيت المؤاخاة، وكانت قد عقدت في دار أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وعنهم أجمعين.

العهد أو الكتاب (الصحيفة) بين سكان المدينة:

كانت في المدينة طائفتان أخريان سوى المسلمين، تختلفان عنهم في العقيدة والدين، والمصالح والحاجات، وهم المشركون واليهود، فعقد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما بين المسلمين ميثاقاً، وفيما بينهم وبين المشركين وفيما بينهم وبين اليهود ميثاقاً آخر، وكتب بذلك كتاباً عرف (بالصحيفة أو الكتاب)، وكان من بين ما تقرر في ذلك الميثاق:

١- أن المسلمين من قريش ويثرب أمة واحدة من دون الناس، وأن أداء ديتهم وفداء أسيرهم يكون حسب العرف السابق.

٢- أنهم يقومون ضد المفسد والباغي والظالم كيد واحدة، ولو كان ولد أحدهم، وأنه لا يقتل مؤمن مؤمناً بكافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن.

٣- أن من قتل مؤمناً قصداً يقتص منه، إلا أن يرضى ولي المقتول، ويجب على المؤمنين أن يقوموا ضد القاتل.

٤- أنه لا يحل لمؤمن أن ينصر محدثاً أو يؤويه.

٥- أنهم إذا اختلفوا في شيء فإن مرده إلى الله ورسوله.

وأما المشركون فكانوا على وشك الانهيار، حيث أسلمت أغلبيتهم مع ساداتهم وكبرائهم، فلم يكن في استطاعتهم الوقوف في وجه المسلمين، فأخذ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عليهم: «أنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن» وبذلك انتهى ما كان يخشى منهم.

وأما اليهود فقد تم الاتفاق بينهم وبين النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على الأمور الآتية:

١- أنهم أمة مع المؤمنين، ولهم دينهم وللمسلمين دينهم، وعليهم نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

٢- أن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وعلى من دهم يثرب كل يدافع عن جهته.

٣- أن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وأن المرء لا يؤخذ بإثم حليفه.

٤- وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٥- وأن ما يكون بينهم من حدث أو اشتجار فإن مرده إلى الله ورسوله.

٦- وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها.

وبهذا الميثاق حددت ما للمسلمين من واجبات وحقوق، وما للمشركون واليهود من سكان يثرب من واجبات وحقوق، وأصبحت المدينة وضواحيها دولة ذات استقلال وسيادة، والكلمة النافذة فيها للمسلمين، ومردها الى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ونشط رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتبعه المسلمون في الدعوة إلى الله، فكان يحضر مجالس المسلمين وغير المسلمين، يتلو عليهم آيات الله، ويدعوهم إلى الله، ويزكي من آمن منهم بالله، ويعلمهم الكتاب والحكمة.

تسمية المدينة:

- سميت المدينة في الصحيفة بيثرب ولكن فيما بعد كره الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الاسم فاستبدلت بها أسماء غيرها، فسماها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طيبة، وقال: «**إن الله تعالى سمّى المدينة: طابة**»، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**»[1]

- وروى السيوطي وابن شيبة بإسناده إلى أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى أن يُقال للمدينة يثرب، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «سبب كراهة تسمية المدينة بيثرب لأن يثرب؛ إما من التثريب الذي هو توبيخ والملامة أو من الثرب وهو الفساد وكلاهما مستقبح وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب الاسم الحسن ويكره القبيح»، وقال الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «المدينة يقال لها المدينة النبوية؛لأن هذا ما يصفها به السلف ولأنه أشرف لها بنسبتها إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

---

(١) رواه البخاري.

مكائد المشركين لدعوة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة والإذن بالقتال:

وبينما كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرتب أمور المدينة وينظم جوانب الحياة فيها، ويرجو أن يجد فيها هو والمسلمون مكاناً آمناً يعملون فيه بدينهم بغير معارضة أو استفزاز إذ فوجئوا بمكائد قريش تريد القضاء عليهم، فمنها:

أنهم كتبوا إلى مشركي يثرب يحرضونهم على قتال المسلمين وإخراجهم عن المدينة، ويهددونهم بقتل مقاتلتهم واستباحة نسائهم إن لم يفعلوا ذلك، وفعلاً قام مشركو يثرب لينفذوا ذلك، ولكن أتاهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوعظهم ونصحهم فكفوا عما أرادوا من القتال وتفرقوا.

ومنها أن سعد بن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رئيس الأوس، ذهب إلى مكة معتمراً، فطاف بالبيت ومعه أبو صفوان أمية بن خلف، فلقيهما أبو جهل، فلما عرف سعداً هدده وتوعده وقال: تطوف بمكة آمنا وقد آويتم الصباة، وأما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً، وكان هذا إعلاناً عن صد المسلمين عن المسجد الحرام، وعن قتلهم إذا وجدوا في حدود قريش.

ومنها أنه كانت لقريش صلة بيهود يثرب، وكانت اليهود تقوم بنبش الأحقاد والضغائن القديمة بين الأوس والخزرج ويحرشونهم ويحاولون إثارة القلق والاضطراب فيما بينهم.

وهكذا أحاط الخطر بالمسلمين في المدينة من الداخل والخارج، ووصل الأمر إلى أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لم يكونوا يبيتون إلا ومعهم السلاح، ولم يكونوا يصبحون إلا فيه، وكانوا يحرسون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى نزل قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ

مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يا أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله عَزَّوَجَلَّ).

بداية نزول الشرائع بعد أن استقر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة:

لما استقر بالمدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل: الزكاة، والصوم، والحج، والجهاد والأذان، إذ أنّ عامة شرائع الإسلام لم تشرع إلا في المدينة، ففي مكة دعا إلى التوحيد نحو عشر سنين، ثم بعد ذلك فرضت عليه الصلوات الخمس في مكة وصلى فيها ثلاث سنين، ثم هاجر إلى المدينة، وذهب بعض أهل العلم إلى أن الزكاة فرضت أولاً في مكة وفي المدينة قدرت الأنصباء وقدر الواجب واستدل هؤلاء بأنه جاءت آيات توجب الزكاة في سورة مكية مثل قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١]. ومثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج].

وعلى كل حال فاستقرار الزكاة وتقدير أنصابها وما يجب فيها وبيان مستحقيها كان في المدينة، وكذلك الأذان والجمعة، والظاهر أن الجماعة كذلك لم تفرض إلا في المدينة؛ لأن الأذان الذي فيه الدعوة للجماعة فرض في السنة الثانية، فأما الزكاة والصيام فقد فرضا في السنة الثانية من الهجرة، وأما الحج فلم يفرض إلا في السنة التاسعة على القول الراجح من أقوال أهل العلم وهو قول الجمهور، وذلك حين كانت مكة بلد إسلام بعد فتحها في السنة الثامنة من الهجرة، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام: كبر الوالدين، وصلة الأرحام، وأداء الأمانات، وسائر مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال كما هو معروف من شريعته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه الشعائر الظاهرة كلها فرضت في المدينة بعد استقرار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها، أخذ على هذا

عشر سنين وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه، بعد ما أكمل الله به الدين، وبلغ البلاغ المبين وأتم به النعمة، كما سيتضح لاحقاً.

الإذن بالقتال:

وفي هذه الظروف الخطيرة أنزل الله تعالى الإذن بقتال قريش، ثم تطور هذا الإذن مع تغير الظروف حتى وصل إلى مرحلة الوجوب، وجاوز قريشاً إلى غيرهم، ولا بأس أن نبين تلك المراحل بإيجاز قبل أن ندخل في ذكر الأحداث.

١- المرحلة الأولى: اعتبار مشركي قريش محاربين، لأنهم بدأوا بالعدوان، فحق للمسلمين أن يقاتلوهم، ويصادروا أموالهم، دون غيرهم من بقية مشركي العرب.

٢- قتال كل من تمالأ من مشركي العرب مع قريش، واتحد معهم، وكذلك كل من تفرد بالاعتداء على المسلمين من غير قريش.

٣- قتال من خان أو تحيز للمشركين من اليهود الذين كان لهم عقد وميثاق مع رسول الله ﷺ، ونبذ ميثاقهم إليهم على سواء.

٤- قتال من بادأ بعداوة المسلمين من أهل الكتاب، كالنصارى، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

٥- الكف عمن دخل في الإسلام مشركاً كان أو يهودياً أو نصرانياً أو غير ذلك، فلا يتعرض لنفسه وماله إلا بحق الإسلام وحسابه على الله.

الأسئلة

س٣: ضع علامة (√) أو علامة (×) أما العبارات التالية، مع تصحيح الخطأ:

أ) لما استقر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة بدأ الاهتمام بعدة أمور إلى جانب استمراره في الدعوة إلى الله، وأول هذه الأمور بناء المسجد النبوي. ( )

ب) عقد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ميثاقاً واحداً في المدينة، كان ميثاقاً فيما بين المسلمين وبين المشركين. ( )

ج) سبب كراهة تسمية المدينة بيثرب لأن يثرب من أسماء اليهود. ( )

د) لما استقر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة أُمِر ببقية شرائع الإسلام مثل: الزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، إذ أنّ عامة شرائع الإسلام لم تشرع إلا في المدينة. ( )

س٢: تخيّر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس:

أ) كانت مساحة الأرض التي بها المسجد النبوي: (خمسون ذراعا في ثلاثين ذراعا– مائة ذراع في مائة ذراع – مائة ذراع في خمسين ذراعا).

ب) بنى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجانب المسجد حجرتين؛ إحداهما لسودة بنت زمعة، والثانية لـ: (عائشة بنت الصديق – حفصة بنت الفاروق – رملة بنت أبي سفيان).

ج) كانت في المدينة طائفتان أخريان سوى المسلمين، تختلفان عنهم في العقيدة والدين، وهم: (المشركون واليهود – اليهود والنصارى – المشركون والمنافقون).

س٣: اكتب ما تعرف عن:

أ) فرضية الأذان.

ب) المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

س٤ : حدد أهم الأسس التي تضمنتها وثيقة المدينة بين المسلمين واليهود.

س٥ : وضح أهم مراحل الإذن بالقتال ضد المشركين.

مقدمة في البعوث والسرايا والغزوات

تقدم أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين كانوا آخذين بالحيطة والحذر من بداية أمرهم، وذلك بالحراسة والمبيت بالسلاح، فلما نزل الإذن بالقتال أخذ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرتب البعوث والسرايا، وكان المقصود منها:

١- استكشاف حركة العدو، وتأمين أطراف المدينة، حتى لا يؤخذ المسلمون على غرة.

٢- الضغط على قريش بالتعرض لقوافلهم حتى يشعروا بالخطر على تجارتهم وأموالهم وأنفسهم، فإما أن يفيقوا عن غيهم، ويسالموا المسلمين ويتركوهم على حريتهم في نشر الإسلام والعمل به وهذا غاية ما كان يتمناه المسلمون - أو يختاروا طريق الحرب والقتال فيخسروا أولاً طريق تجارتهم؛ لأنها كانت تمر بأطراف المدينة، وثانياً يلقوا جزاء شرهم وعدوانهم بإذن الله ونصره لعباده المؤمنين، وهذا الذي وقعت الإشارة إليه في كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مراراً.

٣- عقد مواثيق التحالف أو عدم الاعتداء، مع قبائل أخرى.

٤- إبلاغ رسالة الله، ونشر دعوة الإسلام قولاً وعملاً.

وقد أطلق المؤرخون اسم **(الغزوة)** على المجموعة أو الجيش من المسلمين الذي يقوده النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واسم **(السريّة)** على المجموعة أو الجيش من المسلمين الذي يقوده أحد أفراد المسلمين، والمجموعة القليلة منها تسمى (بعث) وذلك للاستطلاع.

وقد شارك النبي ﷺ في حياته قائداً في ٢٨ غزوة:

الغزوات في سنة ٢ هـ: «الأبواء - بواط - العشيرة - سفوان - بدر الكبرى - بنو سليم - بنو قينقاع - السويق) **٨ غزوات.**

الغزوات في سنة ٣ هـ: «ذي أَمَر - بُحران - أُحد - حمراء الأسد» **٤ غزوات.**

الغزوات في سنة ٤ هـ: «بنو النضير - بدر الموعد» **غزوتان.**

الغزوات في سنة ٥ هـ: «دومة الجندل - بنو المصطلق - الأحزاب - بنو قريظة» **٤ غزوات.**

الغزوات في سنة ٦ هـ: «بنو لحيان - الحديبية» **غزوتان.**

الغزوات في سنة ٧ هـ: «الغابة - خيبر - ذات الرقاع - عمرة القضاء» **٤ غزوات.**

الغزوات في سنة ٨ هـ: «فتح مكة - حنين - الطائف» **٣ غزوات.**

الغزوات في سنة ٩ هـ: «تبوك» **غزوة واحدة.**

وبلغت عدد البعوث والسرايا ٣٨ ما بين بعثٍ وسرية.

وفيما يلي نبذ مختصرة عن كل سرية بعثها رسول الله أو غزوة من غزواته ﷺ مرتبة على حسب وقائعها في السنوات الهجرية من الأولى حتى التاسعة:

أولاً: السرايا

(في السنة الأولى من الهجرة النبوية)

سرية سيف البحر:

وأول سرية بعثها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سرية تسمى **(بسيف البحر)**[٢] بعثها في رمضان في السنة الأولى من الهجرة، وأمر عليها عمه حمزة بن عبد المطلب، وكان قوامها ثلاثين رجلاً من المهاجرين، وقد واصلوا سيرهم حتى بلغوا إلى سيف البحر – أي ساحل البحر الأحمر – واعترضوا عيراً لقريش، قادمة من الشام، عليها أبو جهل، في ثلاثمائة رجل، فاصطف الفريقان، وكاد يقع القتال، ولكن انصرف الفريقان دون ذلك، وكانت هذه السرية أول عمل عسكري في تاريخ الإسلام.

ثم تتابعت البعوث والسرايا فأرسل في شوال عبيدة بن الحارث في ستين رجلاً من المهاجرين إلى بطن رابغ، فلقي أبا سفيان وهو في مائتي رجل، فوقع الترامي دون القتال.

ثم أرسل في ذي القعدة سعد بن أبي وقاص في عشرين رجلاً من المهاجرين إلى الخرار قريباً من رابغ فلم يلق كيداً.

---

(٢) السيف، بكسر السين معناه: الساحل.

ثانيا: الغزوات

(في السنة الثانية من الهجرة النبوية)

١- غزوة الأبواء:

ثم خرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه إلى الأبواء أو ودان في صفر سنة ٢هـ في سبعين رجلاً من المهاجرين، فلم يلق أحداً وعقد ميثاق الأمان والتناصر مع عمرو بن مخشى الضمري. وكانت أول غزوة خرج لها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- غزوة بواط:

ثم خرج إلى بواط من ناحية رضوى، في ربيع الأول سنة ٢هـ في مائتين من المهاجرين، فلم يلق أحداً.

٣- غزوة سفوان (بدر الأولى):

وفي الشهر نفسه أغار كرز بن جابر الفهري على مراعي المدينة وساق بعض المواشي، فخرج صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طلبه إلى سفوان من ناحية بدر، في سبعين رجلاً من المهاجرين، ولكن كرزا أفلت ونجح في الفرار، وهذه الغزوة تسمى بغزوة بدر الأولى.

٤- غزوة ذي العشيرة:

ثم خرج في جمادى الأولى أو الآخرة سنة ٢هـ إلى ذي العشيرة في مائة وخمسين، أو في مائتين من المهاجرين، يعرض عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام، ولكنها فاتته قبل أيام، وعقد ميثاق عدم العدوان مع بني مدلج.

ثم بعث في شهر رجب سنة ٢هـ عبدالله بن جحش الأسدي إلى نخلة، بين مكة والطائف، في اثني عشر رجلاً، وأسروا اثنين، وساقوا العير، وغضب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك، ولم يرض به، فأطلق الأسيرين وأدى دية المقتول.

وكان الحادث في آخر يوم من رجب، فأثار المشركون ضجة بأن المسلمين انتهكوا حرمة الشهر الحرام. فأنزل الله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

تلك هي الغزوات والسرايا التي قام بها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون لحفظ أمن المدينة وأطرافها، ولإشعار قريش بسوء عاقبتها إن لم تكف عن شرها، ولكنها ازدادت في العلو والاستكبار، فلاقت جزاء أمرها في بدر، وكان عاقبة أمرها خسراً.

تحويل القبلة إلى مكة:

وفي شعبان سنة ٢هـ حول الله القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وكان ذلك مما يحبه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينتظره، وقد انكشف بذلك بعض المخادعين من المنافقين واليهود الذين دخلوا في الإسلام زوراً، فارتدوا وتطهرت صفوف المسلمين منهم، وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه فلما قدم المدينة وجَّه إلى بيت المقدس واستمر على ذلك بضعة عشر شهراً وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يتوجَّه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وخرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زائراً أم بشر بن البراء في بني سلمة، فصنعت له طعاماً، وحانت صلاة الظهر فصلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظهر بأصحابه في مسجدٍ هناك، فلما صلى ركعتين نزل جبريل فأشار أن صلِّ إلى البيت، وصلى جبريل إلى البيت فاستدار رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الكعبة، واستقبل الميزاب فتحولت النساء مكان الرجال، والرجال مكان النساء، فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين.

فخرج عبّاد بن بشر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكان ممن صلى مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمر على قوم من الأنصار ببني حارثة وهم راكعون في صلاة العصر، فقال: أشهد بالله لقد

صليتُ مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ البيت فاستداروا.

قال عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «وبينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آتٍ فقال: إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أنزل عليه قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة».

٥- غزوة بدر الكبرى:

وهي أول معركة فاصلة بين قريش والمسلمين، وسببها أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بالمرصاد للعير التي فاتته إلى الشام حينما خرج إلى ذي العشيرة، وأرسل لها رجلين إلى الحوراء من أرض الشام ليأتيا بخبرها، فلما مرت بهما العير أسرعا إلى المدينة، فندب لها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين، ولم يعزم عليها الخروج، فانتدب ٣١٣ رجلاً وقيل ٣١٧ رجلاً بضع وثمانون من المهاجرين، و٦١ من الأوس، و١٧٠ من الخزرج، ولم يتخذ هؤلاء أهبتم الكاملة، فلم يكن معهم إلا فرسان وسبعون بعيراً فقط، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، ثم أرسل مكانه من الروحاء أبا لبابة بن المنذر.

وخرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المدينة يريد بدراً وهو موضع على بعد ١٥٥ كيلومتراً جنوب غربي المدينة، وأول ما سلك طريقاً آخر غير طريق بدر ثم تأنى في التقدم إلى جهة بدر.

أما العير فكان قوامها ألف بعير، موقرة بأموال لا تقل عن خمسين ألف دينار، وكان رئيسها أبا سفيان، ومعه نحو أربعين رجلاً فقط، وكان أبو سفيان في غاية التيقظ والحذر، يسأل كان غاد ورائح عن تحركات المسلمين، حتى علم بخروج المسلمين من المدينة، وهو على بعد غير قليل من بدر، فحول اتجاه العير إلى الغرب ليسلك طريق الساحل، ويترك طريق بدر إطلاقاً، واستأجر رجلاً يخبر أهل مكة بخروج المسلمين

بأسرع ما يمكن، فلما بلغهم النذير استعدوا سراعاً وأوعبوا في الخروج، فلم يتخلف من كبرائهم إلا أبو لهب، وحشدوا من حولهم من القبائل، ولم يتخلف من بطون قريش إلا بنو عدي.

ولما وصل هذا الجيش إلى الجحفة بلغتهم رسالة أبي سفيان يخبرهم بنجاته ويطلب منهم العودة إلى مكة، وهَمَّ الناس بالرجوع ولكن أبى ذلك أبو جهل استكباراً ونخوة، فواصلوا سيرهم حتى نزلوا قريباً من العدوة القصوى، خارج بدر، في ميدان فسيح، وراء الجبال المحيطة ببدر.

أما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد علم بخروج أهل مكة، وهو في الطريق، فاستشار المسلمين، فأشاروا عليه بالقتال، فسر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم، ثم تقدم إلى بدر فوصلها في نفس الليلة التي وصل فيها المشركون فنزل في داخل ميدان بدر قريباً من العدوة الدنيا، وبنى المسلمون عريشاً يكون مقر قيادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم عبأ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجيش وتجول في ميدان القتال وهو يشير بيده ويقول: «هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان، وغداً إن شاء الله»، ثم بات يصلي إلى جذع شجرة، وبات المسلمون مستريحين تغمرهم الثقة، وكان الله قد أنزل المطر كما قال: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال: ١١].

وفي الصباح – وهو صباح يوم الجمعة ١٧ من شهر رمضان سنة ٢هـ، تراآى الجمعان، فدعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وناشده النصر، وبالغ في التضرع والابتهال

حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فرده عليه الصديق وقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك.

- **المبارزة والقتال:**

تقدم ثلاثة من خيرة فرسان المشركين: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، وبارزوا المسلمين، فخرج عبيدة بن الحارث، وحمزة، وعلي، فقتل حمزة شيبة وقتل علي الوليد واختلفت ضربتان بين عبيدة وعتبة وأثخن كل واحد منهما الآخر، ثم كر علي وحمزة على عتبة فقتلاه، واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله، فمات بعد أربعة أو خمسة أيام بالصفراء راجعاً إلى المدينة.

وأغفى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إغفاءة، ثم رفع رأسه وقال: أبشر أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النقع أي على أطرافه الغبار وكان الله قد أمد المسلمين يومئذ بألف من الملائكة مردفين، ثم تقدم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يثب في الدروع ويتلو قوله تعالى﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥]. وأخذ حفنة من الحصباء ورمى بها وجوه المشركين، وهو يقول: شاهت الوجوه. فما من مشرك إلا وأصاب عينيه ومنخريه من تلك الحفنة، وفي ذلك يقول تعالى ﴿ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧].

ثم أمر رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ المسلمين بالهجوم على المشركين، وقال: «شدوا»، وحرضهم على القتال، فشد المسلمون وهم على نشاطهم، وقد زادهم تحمساً وجود رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فيما بين أظهرهم يقاتل قدامهم، فأخذوا يقلبون الصفوف، ويقطعون الأعناق، ونصرهم الملائكة فكانوا يضربون فوق أعناق المشركين، ويضربون منهم كل بنان، فكان يندر رأس الرجل لا يدرى من ضربه، وتندر يد الرجل لا يدرى

من قطعها، حتى نزلت الهزيمة بالمشركين فلاذوا بالفرار، وأخذ المسلمون يطاردونهم فيقتلون فريقاً ويأسرون فريقاً.

وكان إبليس قد حضر في صورة سراقة بن مالك بن جعشم تأييداً للمشركين، وتحريضاً لهم على قتال المسلمين، فلما رأى الملائكة وما يفعلون نكص على عقبيه وفر إلى البحر الأحمر وألقى نفسه فيه.

- **مقتل أبي جهل:**

قُتل أبو جهلٍ على يد غلامين من الأنصار، وهما معاذ بن عفراء، ومعاذ بن عمرو بن الجموح، حيث ابتدراه بسيفيهما، فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبراه، فقال: «أيكما قتله؟» قال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال: «هل مسحتما سيفيكما؟» قالا: لا، فنظر في السيفين، فقال: «كلاكما قتله، سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح».

وبعد انتهاء المعركة قال رسول الله من ينظر ما صنع أبو جهل، فانطلق عبدالله بن مسعود فوجده وبه رمق، فوضع رجله على عنقه وأخذ لحيته ليحتز رأسه وقال: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال أبوجهل: وبماذا أخزاني؟ هل فوق رجل قتلتموه؟ ثم قال أيضا: أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ قال بن مسعود لله ولرسوله، فقال له أبو جهل: لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم! فقطع عبدالله بن مسعود رأسه ثم جاء به إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الله أكبر، والحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، وقال: هذا فرعون هذه الأمة.

- **يوم الفرقان:**

كانت هذه المعركة معركة بين الكفر والإيمان، قاتل فيها الرجل عمه وأباه، وابنه وأخاه، وخاله وأدناه، قتل فيها عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خاله العاص بن هشام،

وواجه فيها أبو بكر ابنه عبد الرحمن، وهكذا انقطعت فيها صلة القرابة، وأعلى الله فيها كلمة الإيمان، وفرق بين الحق والباطل، فسمي ذلك اليوم بيوم الفرقان.

- قتلى الفريقين:

قتل في هذه المعركة أربعة عشر رجلاً من المسلمين، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، ودفنوا في ساحة بدر ومقابرهم لا تزال معروفة، أما المشركون فقتل منهم سبعون، وأسر سبعون، ومعظمهم كانوا من الصناديد، وقد سحبت أربع وعشرون من صناديدهم وقذفت في قليب بئر خبيث في بدر.

وأقام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بدر ثلاثة أيام، فلما استعد للرجوع جاء القليب وقام على شفته، وناداهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان بن فلان! ويا فلان بن فلان! أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فقال له عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون.

- وصول الأخبار إلى مكة والمدينة:

وصل نبأ الهزيمة إلى مكة بفلول المشركين، فكبتهم الله وأخزاهم، حتى نهوا عن النياحة على القتلى، كيلا يشمت بهم المسلمون.

أما أهل المدينة فقد أرسل أليهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيرين: عبدالله بن رواحة إلى العالية، وزيد بن حارثة إلى السافلة. وكان اليهود قد أرجفوا في المدينة بدعايات كاذبة، فلما وصل نبأ الفتح عمت الفرحة والسرور، واهتزت المدينة تهليلاً وتكبيراً، وتقدم رؤوس المسلمين إلى طريق بدر يهنئون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- مقدم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة:

وتقدم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة متوجاً بنصر الله، ومعه الغنائم والأسرى، فلما وصل قريباً من الصفراء نزل حكم الغنيمة، فأخذ منها الخمس، وقسمها سوياً بين

الغزاة، أما رؤوس المسلمين الذين خرجوا لتهنئته فلقوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالروحاء ثم رافقوه يشيعونه إلى المدينة، فدخل فيها مظفراً منصوراً قد خافه كل عدو، وأسلم بشر كثير وتظاهر رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه بالإسلام.

- **قضية الأسارى:**

ولما استقر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استشار في الأسارى، فأشار أبو بكر بأخذ الفدية منهم، وأشار عمر بقتلهم، فقرر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ الفدية، وكانت من أربعة آلاف إلى ثلاث آلاف درهم، ومن كان منهم يقرأ ويكتب فجعل فديته أن يعلم عشرة غلمان من المسلمين، وأحسن إلى بعض الأسارى فأطلقهم بغير فدية، فأنزل الله: «ما كان لنبيء أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض» سورة الأنفال.

- **وفاة ابنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقية وزواج ابنته أم كلثوم بعثمان:**

وكانت رقية بنت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مريضة حين خرج لغزوة بدر، وكانت تحت عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأمره أن يتخلف عليها ليمرضها، وله أجر من حضر بدراً ونصيبه، وخلف عليها أيضاً أسامة بن زيد، فتوفيت قبل رجوعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال أسامة: أتانا الخبر – أي بشارة الفتح – حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولما استقر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة واطمأن بها، زوج عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابنته الأخرى: أم كلثوم، فلذلك سمي عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذي النورين، وقد بقيت معه حتى توفيت في شعبان سنة تسع من الهجرة، ودفنت بالبقيع.

٦- غزوة بني سُليم:

لما قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة من بدر لم يقم بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سُليم، وذلك في شوال من العام الثاني من الهجرة فبلغ ماء من مياههم يقال له: الكدر فأقام عليه ثلاث ليالي، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق حرباً وكان سبب

خروجه ما بلغه أن بهذا الموضع جمعاً من سُليم وغطفان يخططون لحرب المسلمين.

٧- غزوة بني قينقاع:

ثم كاشف يهود بني قينقاع بالشر والعداوة، فنصحهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش، كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وصبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذا الجواب، فازدادت جرأتهم، حتى أثاروا في سوقهم فتنة قتل فيها رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فحاصرهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم السبت للنصف من شوال سنة ٢هـ، وقذف في قلوبهم الرعب، واستسلموا بعد خمسة عشر يوماً لهلال ذي القعدة، بعد أن توسط لهم حليفهم رأس المنافقين عبدالله بن أبي سلول على أن يخرجوا من المدينة فوهبهم رسول الله له، فأجلاهم إلى أذرعات الشام، حيث مات أكثرهم، وتولى جمع الغنائم منهم محمد بن مسلمة.

٨- غزوة السويق:

نذر أبو سفيان بعد غزوة بدر أن لا يمسَّ رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخرج في مائتي راكب، وأغار بالعريض في ناحية المدينة، فقطعوا أسواراً من النخيل، وأحرقوها، وقتلوا رجلين وفروا، وأتى الخبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فطاردهم، ولكنهم أفلتوا، وطرحوا أثناء فرارهم كثيراً من السويق والأزواد ليتخففوا، وبلغ المسلمون في مطاردتهم إلى قرقرة الكدر، ولكنهم فاتوا، وحمل المسلمون السويق، فسميت بغزوة السويق وبغزوة قرقرة الكدر.

ثالثا: الغزوات

(التي وقعت في السنة الثالثة من الهجرة النبوية)

١- غزوة ذي أمر:

بلغ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أن غطفان تجمعت في ذي أمر من نجد فسار إليهم وعندما علموا بذلك فروا وكان عدد المسلمين أربعمائة وخمسين رجلاً وكان ذلك في الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الثالثة من الهجرة.

وذكر الواقدي وابن سعد وقوع قصة دعثُور المحاربي في هذه الغزوة وهي: أن في طريق العودة من ذي أمر قد أصيبوا بالمطر، فابتل ثوب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ثم نزع ثيابه فنشرها على شجرة لتجف ثم اضطجع تحت الشجرة والأعداء ينظرون فأغروا سيدهم دعثُور لقتل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وعندما وقف عند رأس رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ والسيف بيده قال: من يمنعك مني اليوم؟ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**الله**» ودفعه جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حتى وقع السيف منه فأخذه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فقال: **من يمنعك مني اليوم؟** فقال: لا أحد. فأسلم وعاد وحكى لقومه وأخبرهم بما حدث وأخذ يدعوهم للإسلام.

٢- غزوة بُحران:

خرج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في ثلاثمائة من الصحابة يريد قريشاً وبني سُليم ووصل إلى بُحران من ناحية الفرع على الطريق التجاري بين مكة والشام ولم ينشب قتال بين الطرفين، وكان ذلك في شهر جمادي الأولى من السنة الثالثة من الهجرة.

سرية القردة:

في جمادى الآخرة سنة ٣هـ أرسلت قريش عيراً لهم إلى الشام عن طريق العراق، لتخترق نجداً إلى الشام، ولا تمر بقرب المدينة، وكان يقودها صفوان بن أمية، وعلم بذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسل زيد بن حارثة في مائة راكب، فدهمها زيد وهي تنزل على ماء في نجد يسمى بقردة، فاستولى على العير بكل ما فيها، وفر رجال العير بأجمعهم، وأسر الدليل فرات بن حيان فأسلم، وقدرت الغنيمة بمائة ألف، وكانت أوجع ضربة تلقتها قريش بعد غزوة بدر.

٣- غزوة أحد:

بينما كانت قريش تستعد للانتقام من المسلمين بما أصيبت به في غزوة بدر إذا بهم يتلقون ضربة أخرى في القردة، فازدادوا بها غضباً على غضب، فأسرعوا في الاستعداد وفتحوا باب التطوع، وحشدوا الأحابيش وخصصوا الشعراء للإغراء والتحريض، حتى تجهز جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، في ثلاثة آلاف بعير ومائتي فرس، وسبعمائة درع، ومعه عدد من النسوة للتحريض وبث روح البسالة والحماس، وكان قائده العام أبا سفيان.

تحرك هذا الجيش في غيظه وغضبه حتى بلغ إلى ضواحي المدينة، وألقى رحله في ميدان فسيح على شفير وادي قناة قريباً من جبل عينين وأحد، وذلك يوم الجمعة السادس من شهر شوال سنة ٣هـ.

ونقل الخبر إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستشار المسلمين، وكان رأيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتحصن المسلمون بالمدينة، فيقاتل الرجال على أفواه الأزقة، والنساء من فوق البيوت، ووافقه رأس المنافقين عبدالله بن أبي، وكأنه قصد الجلوس في البيت دون أن يتهم بالتخلف، فألحّ الصحابة على المجالدة بالسيوف في مكان مكشوف، فقبل

رأيهم، وقسم الجيش إلى ثلاث كتائب: كتيبة للمهاجرين، وأخرى للأوس، وثالثة للخزرج، واتجه بعد صلاة العصر إلى موضع الشيخين بالقرب من جبل أحد، وبات ليلته هناك، وفيها تمرد المنافق عبدالله بن أبي فرجع مع ثلاثمائة من أصحابه، وكان أولاً مجموع عدد المسلمين ألفاً فبقي سبعمائة.

وفي اليوم التالي تقدم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحو جبل أحد، وهناك عبأ الجيش، وعين خمسين رجلاً من الرماة على جبل عينين، وهو الذي يعرف بجبل الرماة وأمرهم أن يدفعوا الخيل، ويحموا ظهور المسلمين، وأكد لهم أن لا يتركوا مكانهم حتى يأتي أمره، سواء انتصر المسلمون أو انهزموا، وعبأ المشركون جيشهم، وتقدموا إلى ساحة القتال، تحرضهم نسوتهم، وهن يتجولون في الصفوف، ويضربن بالدفوف ويثرن الأبطال.

- **المبارزة والقتال:**

وتقارب الجيشان فطلع طلحة بن أبي طلحة العبدري حامل لواء المشركين وأشجع فرسان قريش، ودعا إلى المبارزة وهو على بعير، فتقدم إليه الزبير بن العوام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ووثب وثبة الليث حتى صار معه على جمله، ثم أخذه واقتحم به الأرض، وذبحه بسيفه، فكبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكبر المسلمون.

ثم انفجر القتال في كل نقطة وحاول خالد بن الوليد – وهو على فرسان المشركين –ثلاث مرات ليبلغ إلى ظهور المسلمين، ولكن رشقه الرماة بسهامهم حتى ردوه، وركز المسلمون هجومهم على حملة لواء المشركين حتى قتلوهم عن آخرهم وكانوا أحد عشر مقاتلاً، فبقى اللواء ساقطاً، وشدد المسلمون هجومهم على بقية النقاط حتى هدوا الصفوف هدا وحسوا المشركين حساً، وأبلى أبو دجانة وحمزة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في ذلك بلاءً حسناً.

وفي أثناء هذا التقدم والانتصار قُتل حمزةُ بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتله وحشي بن حرب، وكان عبداً حبشياً ماهراً في قذف الحربة، وقد وعده مولاه جبير بن مطعم بالعتق إذا قتل حمزة؛ لأن حمزة هو الذي قتل عمه طعيمة بن عدي في بدر، ووقعت الهزيمة بالمشركين حتى لاذوا بالفرار، وفرت النسوة المحرضات، وتبعهم المسلمون يضعون فيهم السلاح، ويأخذون الغنائم، وحينئذ أخطأ الرماة، فنزل منهم أربعون رجلاً ليصيبوا من الغنيمة، على رغم ما كان لهم من الأمر المؤكد بالبقاء في أماكنهم؛ وانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة، فانقضَّ على العشرة الباقية بجبل الرماة حتى قتلهم، واستدار هذا الجبل حتى وصل إلى ظهور المسلمين وبدأ بتطويقهم، وصاح فرسانه صيحة عرفها المشركون فانقلبوا، ورفعت لواءها إحدى نسائهم فالتفوا حوله وثبتوا، وبذلك وقع المسلمون بين شقي الرحى.

- **هجوم المشركين على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإشاعة مقتله**

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مؤخرة المسلمين، ومعه سبعة من الأنصار واثنان من المهاجرين، فلما رأى فرسان خالد تطلع من وراء الجبل نادى أصحابه بأعلى صوت: إليَّ عباد الله! وسمع صوته المشركون – ولعلهم كانوا أقرب إليه من المسلمين – فأسرعت مجموعة منهم نحو الصوت، وهاجمت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هجوماً شديداً، وحاولت القضاء عليه قبل أن يصل إليه المسلمون، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من يردهم عنا وله الجنة؟ أو هو رفيقي في الجنة، فتقدم رجل من الأنصار فدفعهم، وقاتلهم حتى قتل، ثم رهقوه، فأعاد قوله،، فتقدم رجل آخر فدفعهم وقاتلهم حتى قتل، ثم الثالث، ثم الرابع وهكذا حتى قتل السبعة.

ولما سقط السابع لم يبق حول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا القرشيان طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص، وقد رمى سعد بن أبي وقاص حتى نثل له رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كنانته وقال: ارم فداك أبي وأمي، وقاتل طلحة بن عبيد الله وحده قتال مجموع من سبق، حتى أصابه خمسة وثلاثون أو تسعة وثلاثون جرحاً، ووقى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأصيبت أصابعه حتى شلت. ولما أصيب أصابعه قال: حس، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو قلت: بسم الله، لرفعتك الملائكة والناس ينظرون، فركز المشركون حملتهم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أصابته حجارة وقع لأجلها على شقه، وأصيبت رباعيته اليمنى السفلى وجرحت شفته السفلى وهشمت البيضة على رأسه، فشجت جبهته ورأسه، وضرب بالسيف على وجنته فدخلت فيها حلقتان من حلق المغفر، وضرب أيضاً بالسيف على عاتقه ضربة عنيفة اشتكى لأجلها أكثر من شهر، وكان قد لبس درعين فلم يتهتكا.

وخلال هذه الساعة الحرجة نزل جبريل وميكائيل فقاتلا عنه أشد القتال، وجاء إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدد من المسلمين فدافعوا عنه أشد الدفاع، وكان أولهم أبا بكر الصديق، ومعه أبو عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثم وصل إليهم أبو دجانة ومصعب بن عمير وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهم، وتضاعف عدد المشركين أيضاً، واشتدت هجماتهم، وقام المسلمون ببطولات نادرة، فمنهم من يرمي، ومنهم من يدافع، ومنهم من يقاتل، ومنهم من يقي السهام على جسده.

وكان اللواء بيد مصعب بن عمير، فقتله عبدالله بن قمئة، فلما قتله ظن أنه قتل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن مصعباً كان يشبهه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فانصرف ابن قمئة وصاح: إن محمداً قد قتل، وشاع الخبر بسرعة، وبإشاعته تخفف هجوم المشركين، إذ ظنوا أنهم أصابوا الهدف، وبلغوا ما أرادوا، وأما عن جيش المسلمين فإنهم لما سمعوا خبر مقتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخارت عزائمهم، واستكانوا، حتى تركوا القتال، وتشجع آخرون وقالوا: موتوا على ما مات عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبينما هم

كذلك إذ رأى كعب بن مالك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعرفة بعينيه، فنادى كعب بصوت عال: يا معشر المسلمين!! أبشروا، هذا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبدأ المسلمون يرجعون إليه، فشق بهم الطريق بين قريش، ونجح في إنقاذ جيشه المطوق، وسحبه إلى شعب الجبل، وقد حاول المشركون عرقلة هذا الانسحاب، ولكنهم فشلوا تماماً، وبلغ عدد قتلى المشركين اثنين وعشرين وقيل: سبعة وثلاثين. أما المسلمون فقد قتل منهم سبعون: ٤١ من الخزرج، و٢٤ من الأوس، و٤ من المهاجرين.

- **رجوع المشركين وقيام المسلمين بتفقد الجرحى ودفن الشهداء:**

ثم رجع أبو سفيان إلى جيشه، وأخذ في الارتحال إلى مكة، وكان من فضل الله على المسلمين، إذ لم يكن بين المشركين وبين المدينة من يمنعهم عن الدخول فيها، ولكن صرفهم الله الذي يحول بين المرء وقلبه.

فنزل المسلمون إلى ساحة القتال يتفقدون الجرحى والقتلى، وقد نقل بعضهم بعض الشهداء إلى المدينة، فأمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بردهم إلى مضاجعهم، ودفنهم في ثيابهم، بغير غسل ولا صلاة، وقد دفن الاثنين والثلاثة في قبر واحد، وربما جمع بين الرجلين في ثوب واحد، وجعل بينهما الإذخر، وقدم في اللحد من كان أكثر حفظاً للقرآن، وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة.

ووجدوا نعش حنظلة بن أبي عامر في ناحية فوق الأرض، يقطر منه الماء، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن الملائكة تغسله، وكان من قصته أنه كان حديث عهد بعرس، وكان معها إذ سمع المنادي ينادي للحرب، فتركها، وخرج إلى ساحة القتال، وقاتل حتى قتل، وهو جنب، فغسلته الملائكة، فسمى غسيل الملائكة، وكفن حمزة في برد إن غطى رأسه بدت رجلاه، وإن غطى رجلاه بدا رأسه، فجعلوا على رجليه الإذخر، وكذلك مصعب بن عمير.

٤- غزوة حمراء الأسد:

رجع رسول الله إلى المدينة بعد انتهاء معركة أحد، ولما أصبح نادى في المسلمين أن يخرجوا للقاء العدو، ولا يخرج إلا من شهد القتال بأحد، فقالوا: سمعاً وطاعة، وساروا حتى بلغوا حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة، وعسكروا هناك، أما المشركون فكانوا نازلين بالروحاء، على بعد ستة وثلاثين ميلاً من المدينة، يفكرون ويتشاورون في العودة إليها، ويأسفون على ما فاتهم من الفرصة الصالحة.

وكان معبد بن أبي معبد الخزاعي من المناصحين لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاءه بحمراء الأسد، وعزاه على ما أصابه في أحد، فأمره رسول الله أن يلحق أبا سفيان ويخذله، فلحقهم بالروحاء، وقد أجمعوا ليعودوا إلى المدينة، فخوفهم أشد التخويف، قال: إن محمداً خرج في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقاً، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط، ولا أرى أن ترتحلوا حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الأكمة، فلما سمعوا هذا خارت عزائمهم، وانهارت معنوياتهم، واكتفى أبو سفيان بحرب دعائية، إذ كلف من يقول للمسلمين ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ ﴾[آل عمران: ١٧٣]. حتى لا يطارده المسلمون، وعجل الارتحال إلى مكة.

أما المسلمون فلم يؤثر فيهم هذا الإنذار، بل: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. وبقوا في حمراء الأسد إلى يوم الأربعاء، ثم رجعوا إلى المدينة ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

الأسئلة

س١ : اذكر أهم السرايا والبعوث التي أرسلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة الأولى للهجرة.

س٢ : ما هي أسباب غزوة بدر الكبرى.

س٣ : تحدث عن حادثة مقتل أبي جهل

س٤ : تحدث عن قضية أساسها غزوة بدر.

س٣: ضع علامة (√) أو علامة (×) أما العبارات التالية، مع تصحيح الخطأ:

١- كانت غزوة بني سليم عقب قدوم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غزوة بدر إلى المدينة في رمضان من السنة الثانية ( )

٢- حاصر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهود بني قينقاع في المدينة وقذف في قلوبهم الرعب خمسة عشر يوما بعد أن أثاروا فتنة في سوقهم قتل فيها رجل من المسلمين ورجل من اليهود ( )

س٦ : في أي سنة كانت غزوة أحد وكم كان عدد المشركين فيها.

س٧ : كيف كان دفاع الصحابة رضوان الله عليهم على رسول الله في غزوة أحد، وكم كان عدد القتلى في صفوف المسلمين.

س٨ : تحدث عن غزوة حمراء الأسد ونتائجها.

رابعا: الحوادث والغزوات

(في السنة الرابعة من الهجرة النبوية)

كان لما أصاب المسلمين بأحد أثر سيء على سمعتهم، إذ تجرأ الأعداء، وكاشفوهم بالنزال، ووقعت عدة أحداث لم يكن بعضها في صالح المسلمين، ونكتفي هنا بذكر الأهم منها فقط.

حادثة الرجيع:

قدم رجال من عضل وقارة إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكروا له أن فيهم إسلاماً، وطلبوا منه أن يبعث إليهم من يعلمهم الدين، ويقرئهم القرآن، فبعث عشرة من أصحابه أمَّر عليهم عاصم بن ثابت، فلما كانوا بالرجيع غدروا بهم، واستصرخوا عليهم بني لحيان من هذيل، فلحقهم قريب من مائة رام، وأحاطوا بهم وغدروا بهم، وقتلوهم.

مأساة بئر معونة:

وفي نفس أيام حادثة الرجيع حدثت مأساة أخرى أشد منها، وملخصها أن أبا براء عامر بن مالك، قدم على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبدى رجاءه أن أهل نجد يجيبونه إلى الإسلام إذا بعث إليهم الدعاة، وقال: أنا جار لهم، فبعث إليهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبعين داعياً من قراء الصحابة، فنزلوا على بئر معونة، وذهب حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلم ينظر فيه، وأمَر رجلاً فطعنه من خلفه حتى أنفذ الرمح، واستنفر عدو الله بني عامر فلم يجيبوه، لجوار أبي براء، فاستنفر بني سليم، فأجابته بطون منها: رعل وذكوان وعصية، فأحاطوا بالصحابة، وقتلوهم عن آخرهم، ولم ينج إلا كعب بن زيد، وعمرو بن أمية الضمري.

وقد حزن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حزناً شديداً على ما حدث بالرجيع وببئر معونة، وكان الحادثان في شهر واحد – شهر صفر سنة ٤هـ ويقال: إن خبر الحادثين وصل إليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ليلة واحدة، فدعا على هؤلاء القتلة ثلاثين صباحاً في صلاة الفجر، حتى أنزل الله فيهم قرآنا ثم نسخ لفظه: أبلغوا عنا قومنا: أنا لقينا ربنا، فرضي عنا، ورضينا عنه، فترك القنوت.

١- غزوة بني النضير:

تآمر بنو النضير مؤامرة أخبث من عضل وقارة، ومن الغادرين بأصحاب بئر معونة. فقد طلبوا من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجتمع بهم في موضع يسمعون منه القرآن والإسلام، ويناقشونه، ويؤمنون به إن اقتنعوا، فتم الاتفاق على ذلك، وقرر هؤلاء الأشرار فيما بينهم أن يأتي كل رجل منهم بخنجر تحت ثيابه، فيغتالون النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغتة وعلى غرة، ونزل جبريل يخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما أرادوا، فقام مسرعاً وتوجه إلى المدينة، ثم لحقه أصحابه، فأخبرهم بالمؤامرة وقرر إجلاءهم.

ثم بعث إليهم محمد بن مسلمة يقول لهم: اخرجوا من المدينة، ولا تساكنوني بها، وقد أجلتكم عشراً، فمن وجد بعده يضرب عنقه، فتجهزوا أياماً للرحيل، ثم أرسل رئيس المنافقين عبدالله بن أبي: أن اثبتوا ولا تخرجوا، فإن معي ألفين يدخلون معكم حصونكم، ويموتون دونكم: ﴿ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الحشر: ١١]. وينصركم قريظة وغطفان، فشعروا بالقوة وامتنعوا، وقالوا لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنا لا نخرج، فاصنع ما بدا لك.

فكبر رسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكبر أصحابه، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وأعطى اللواء عليا، وسار إليهم، حتى فرض عليهم الحصار، فالتجأوا إلى حصونهم،

وأخذوا يرمون المسلمين بالنبل والحجارة، وكانت نخيلهم وبساتينهم عوناً لهم، فأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقطعها وتحريقها، فانهارت عزائمهم، وألقى الله الرعب في قلوبهم، فاستسلموا بعد ست ليال، وقيل: بعد خمس عشرة ليلة، على أنهم يخرجون من المدينة، واعتزلتهم قريظة، وخانهم رأس المنافقين وحلفاؤهم: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾ [الحشر: ١٦]، وسمح لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يحملوا معهم ما يشاؤون من الأمتعة والأموال إلا السلاح، فحملوا ما استطاعوا، حتى قلعوا من بيوتهم الأبواب والشبابيك، وهذا الذي قال الله عنه: ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢]، ونزل أكثرهم وأكابرهم بخيبر، ونزلت طائفة منهم بالشام.

٢- غزوة بدر الموعد:

ذكرنا أن أبا سفيان كان قد تواعد في أحد على حرب في العام القادم، فلما دخل شهر شعبان سنة ٤هـ، خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بدر حسب الموعد، وأقام بها ثمانية أيام ينتظر أبا سفيان، وكان معه ألف وخمسمائة مقاتل، وعشرة أفراس، وأعطى اللواء علي بن أبي طالب، واستخلف على المدينة عبدالله بن رواحة.

أما أبو سفيان فإنه خرج في ألفي مقاتل، وخمسين فرساً، حتى انتهى إلى مرّ الظهران، ونزل على مجنة – ماء مشهور في تلك الناحية – وكان قد أخذه الرعب منذ خروجه، فقال لأصحابه: لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وهذا عام جدب، وإني راجع فارجعوا، فرجعوا ولم يبدوا أي معارضة.

وأما المسلمون فقد رجعوا إلى المدينة وقد هابهم كل عدو، وساد الأمن في كل جانب، حتى مضى أكثر من سنة ولم يجترئ الأعداء على أن يحركوا ساكناً، واستطاع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفضل هذا الأمن أن يتفرغ لتأمين أقصى الحدود، حتى خرج

لتأديب قطاع الطرق إلى دومة الجندل في ربيع الأول سنة ٥هـ فبسط الأمن والسلام في كل جانب.

خامساً: الغزوات
(في السنة الخامسة من الهجرة النبوية)

١- غزوة دومة الجندل:

بلغ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن قبائل حول دومة الجندل تقطع الطريق وتنهب الناس، وتريد مهاجمة المدينة فبادرهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخرج إليهم في ألف من المسلمين، وكان الجيش يسير ليلاً ويستريح في النهار؛ اتقاء حرارة الشمس حتى وصل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه إلى دومة الجندل، وأخبره الدليل بوجود قطعان من الماشية والإبل، واستولى عليها المسلمون ونزل عند منازلهم ولم يجدوا أحداً حيث إن أهالي دومة الجندل هربوا خوفاً من مواجهة الجيش الإسلامي وبقوا فيها وبعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السرايا ثم بعد مكثهم أياماً رجعوا إلى المدينة في العشرين من شهر ربيع الآخر من السنة الخامسة.

٢- غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع:

بنو المصطلق فرع من قبيلة خزاعة، وكانت عامة بطون خزاعة ممالئين لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ناصحين له، ولكن كان هذا الفرع منها ممالئاً لقريش، وقد نقل إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم يستعدون لقتاله، فبعث من يتحقق من هذا الخبر، فتأكد لديه صحته، فاستعمل على المدينة زيد بن حارثة وقيل: غيره وأسرع في الخروج إليهم، ليباغتهم بالهجوم، ومعه سبعمائة من الصحابة، وكان بنو المصطلق نازلين على ماء يسمى بالمريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فأغار عليهم وهم غارون[1]، فقتل بعضهم،

---

(١) أي غافلون.

وسبى ذراريهم، وأخذ أموالهم، وذلك لليلتين من شعبان سنة ٦هـ وقيل: ٥هـ وكان في السبي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار رئيس بني المصطلق، فلما قدم صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة أعتقها وتزوجها بعد أن أسلمت، فأعتق المسلمون مائة أهل بيت من بني المصطلق قد أسلموا، وقالوا: أصهار رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكانت أعظم النساء بركة على قومها.

تلك هي غزوة بني المصطلق بإيجاز، ليس فيها ما يستغرب، لكن وقعت خلالها حادثتان مؤلمتان استغلهما المنافقون لإثارة الفتن والاضطراب في المجتمع الإسلامي، وحتى في البيت النبوي:

الحادثة الأولى: قول رأس المنافقين: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل:

وسبب ذلك أن رجلاً من خلفاء المهاجرين وآخر من خلفاء الأنصار ازدحما على ماء المريسيع، فضرب المهاجري الأنصاري، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، واجتمع ناس من الطرفين، فبادرهم رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنها منتنة**» فعاد الناس إلى رشدهم ورجعوا.

وكانت جماعة من المنافقين قد خرجت في هذه الغزوة، ولم تخرج من قبل، ومعهم رئيسهم عبدالله بن أبي، فلما بلغه الخبر استشاط غضباً، وقال: أو قد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، أراد بالأعز نفسه، وبالأذل رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العياذ بالله – وأخذ يدبر لذلك الفتن، وكان معهم حينما قال ما قال شاب مؤمن قوي الإيمان: زيد بن أرقم لم يصبر على هذا الهراء

حتى أبلغ الخبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدعا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن أبي، وسأله عن ذلك، فحلف أنه لم يقل شيئاً مما بلغه، ففضحه الله وأنزل فيه سورة المنافقين.

وكان ابن هذا المنافق – واسمه أيضاً عبدالله – مؤمناً خالصاً، فوقف على نقب المدينة مستلاً سيفه، وقال لأبيه رأس المنافقين: والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه العزيز وأنت الذليل، وبلغ ذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأرسل إليه أن يأذن له، فخلى سبيله وبهذه الحكمة انتهت هذه الفتنة.

الحادثة الثانية: حادثة الإفك:

وحديث ذلك أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزل في عودته من تلك الغزوة منزلاً حين دنا من المدينة، ثم آذن بالرحيل ليلاً، وكانت معه عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فخرجت لحاجتها، فلما رجعت التمست صدرها فرأت أنها فقدت عقدها، فرجعت تلتمسه في الموضع الذي فقدته فيه حتى وجدته، وارتحل الجيش، وحملوا هودجها على بعيرها ظناً منهم أنها فيه، ولم ينكروا خفة الهودج لكونهم جماعة، ولكونها خفيفة، ورجعت عائشة إلى منازلهم فلم تجد أحداً، فقعدت هناك على أنهم سيفقدونها فيرجعون في طلبها إلى هذا المكان، قالت: عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فغلبتني عيناي فنمت.

وكان أحد الصحابة – وهو صفوان بن المعطل السلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد بات من وراء الجيش، وكان كثير النوم فلم يستيقظ إلا مؤخراً، فسلك سبيل الجيش، فلما رأى سواد إنسان نائم، فلما قرب منه عرف أنها عائشة، لأنه كان رآها قبل الحجاب، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، زوجة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ لم يقل كلمة غير ذلك، واستيقظت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بسماع صوته، فخمرت وجهها بجلبابها، وقرب صفوان راحلته، وأناخها فركبت، وأمسك هو زمام الناقة يمشي أمامها، حتى وصل إلى الجيش، وهم نازلون في نحر الظهيرة.

ولما رأى ذلك عدو الله ابن أبي المنافق وجد متنفساً من كرب النفاق والحقد، فاتهمها بالفجور إفكاً وزوراً، وأخذ يستحكي ذلك، ويستوشيه، ويجمعه ويفرقه، ويشيعه ويذيعه، وكان أصحابه يتقربون به إليه، فلما قدموا المدينة أفاضوا فيه، حتى مال إلى كلامه عدد من المؤمنين.

ومرضت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا حين قدمت المدينة، وطال مرضها نحو شهر، فكانت المدينة تموج بقول أهل الإفك، وهي لا تعلم شيئاً، وإنما كان يريبها أنها لم تكن ترى اللطف الذي كانت تراه من رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين تشتكي، فكان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يدخل عليها فيسلم ويقول: كيف تيكم؟[1] ثم يرجع ولا يجلس عندها، وكان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ طوال هذه الفترة ساكتاً لا يتكلم، فلما استلبث الوحي طويلاً استشار أصحابه، فأشار علي بن أبي طالب بفراقها تلويحاً، وأشار أسامة وغيره بإمساكها، وأنها كالتبر الخالص، فقام صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على المنبر واستعذر من رجل بلغ أذاه في أهله – وكانت الإشارة إلى عبدالله ابن أبي – فأظهر سيد الأوس رغبته في قتله، فأخذت الحمية سيد الخزرج، لأن ابن أبي كان منهم، فتثاور الحيان حتى خفضهم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وخرجت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا ذلك اليوم لحاجتها ليلاً، وقد نقهت من المرض، ومعها أم مسطح، فعثرت في مرطها، فدعت على ابنها مسطح، فاستنكرت ذلك عائشة، فأخبرتها الخبر، وأن ابنها ممن يقول بقولهم، فرجعت عائشة فاستأذنت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأتت أبويها.

فلما تأكد لديها الخبر جعلت تبكي وتبكي حتى بكت ليلتين ويوماً، لم تكتحل أثناءها بنوم، ولم يرقأ لها دمع، حتى ظنت وظن أبواها أن البكاء فالق كبدها، ثم جاءها

---

(١) وهو سؤال عن حالها.

رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صباح الليلة الثانية فجلس وتشهد وقال: «**أما بعد يا عائشة! فإنه بلغني عنك كذا كذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه**»، وحينئذ قلص دمعها، وقالت لكل من أبويها أن يجيبا، فلم يدريا ما يقولان، فقالت: والله لقد علمت، لقد سمعتم بهذا الحديث حتى استقر في أنفسكم، وصدقتم به، فلئن قلت لكم أني برئية – والله يعلم أني بريئة – لا تصدقونني، ولئن اعترفت لكم بأمر – والله يعلم أني منه بريئة – لتصدقوني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨]، ثم تحولت واضطجعت، ونزل الوحي ساعته، فسرى عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: «يا عائشة! أما الله فقد برأك»، فقالت لها أمها: قومي إليه، فقالت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، وأنزل الله – تعالى – في براءتها عشر آيات في سورة النور بداية من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١١]. إلى آخر الآية العشرين.

٣- غزوة الأحزاب (الخندق)

لم يحصل بعد إجلاء اليهود في غزوة بني النضير أي مواجهة تذكر، لفترة تجاوز سنة ونصف سنة، ولكن هكذا هم اليهود لم يرقهم أن يستريح المسلمون، فهم بعد ما استقروا بخيبر واطمأنوا بها، أخذوا يدبرون المؤامرات، ويتحركون وراء الستار، حتى نجحوا في جلب جيش عرمرم من قبائل العرب ضد أهل المدينة، حيث إن عشرين رجلاً من سادتهم وزعمائهم خرجوا إلى قريش، يحرضونهم على غزو المدينة، ووعدوهم بالنصر، فأجابت لهم قريش، ثم ذهبوا إلى غطفان، فأجابوا، ثم طافوا في القبائل فأجاب عدد

منها، ثم حركوا هؤلاء القوم جميعاً تحت خطة منسقة حتى يصل الجميع إلى أطراف المدينة في زمن واحد.

- **الشورى وحفر الخندق:**

وبلغ خبر تجمعهم وتحركهم إلى المدينة، فاستشار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه، فأشار سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بحفر الخندق، فاستحسنوه واتفقوا عليه، وقد وكل إلى كل عشرة رجال أن يحفروا أربعين ذراعاً، واشترك معهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حفر الخندق ونقل التراب، وقد كابدوا في أثناء حفره أنواعاً من المشقة، ولا سيما شدة البرد، وشدة الجوع.

- **بين طرفي الخندق:**

وأقبلت قريش ومن تبعهم في أربعة آلاف، ومعهم ثلاثمائة فرس، وألف بعير، يرأسهم أبو سفيان، ويحمل لواءهم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري، فنزلوا بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد في ستة آلاف، فنزلوا إلى جانب أحد، وكان قدوم هذا الجيش العرمرم إلى أسوار المدينة بلاء شديداً ومخيفاً جداً، كما قال الله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب: ١٠ ١١]. فثبت الله المؤمنين، كما قال ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢]، أما المنافقون والذين في قلوبهم مرض فقالوا: ﴿ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢].

واستخلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المدينة ابن أم مكتوم، وجعل النساء والذراري في الآطام، ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين، فجعلوا ظهورهم إلى جبل

سلع وتحصنوا به، والخندق بينهم وبين الكفار، وبعد أن استقر المشركون وتهيأوا تقدموا نحو المدينة، فلما اقتربوا من المسلمين فوجئوا بخندق عريض يحول بينهم وبين المسلمين، فبهتوا، وقال أبو سفيان: تلك مكيدة ما عرفتها العرب، فأخذوا يدورون حوله في طيش وغضب، يطلبون نقطة يعبرون منها، والمسلمون يرشقونهم بالنبل، حتى لا يقتربوا منه، فيتمكنوا من الاقتحام، أو من إهالة التراب وبناء الطريق عليه.

واضطر المشركون إلى فرض الحصار على المدينة، واضطر المسلمون إلى الاستمرار في الدفاع، وأصيب في أثناء المراماة عدد قليل من الطرفين، وبلغ عدد قتلى المشركين عشرة، وقتلى المسلمين ستة، وأصيب سعد بن معاذ بسهم قطع أكحله، فدعا الله أن يبقيه إن كان قد بقي من حرب قريش شيء، وإلا فيجعل موته في هذا الجرح، ثم قال: في دعائه: «ولا تمتني حتى تقر عيني من قريظة».

- **غدر بني قريظة وأثره على سير الغزوة:**

كانت قريظة في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد سبق ذكره – فجاء حيي بن أخطب سيد بني النضير، في أثناء هذه الغزوة، إلى كعب بن أسد سيد بني قريظة فحسن له الغدر، وأغراه على نقض العهد، فنقض كعب العهد، وقام إلى جانب قريش والمشركين.

وكانت قريظة في جنوب المدينة، والمسلمون في شمالها، ولم يكن من يحول بين قريظة وبين نساء المسلمين وذراريهم، فكان الخطر عليهم شديداً، وبلغ الخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأرسل خمسمائة لحراسة ذراري المسلمين، وأرسل سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في رجال من الأنصار يستجلون له الخبر، فوجدوا اليهود على أخبث ما يكونون، فقد جاهروا بالسب والعداوة، وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فرجعوا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبروه الخبر، وتفطن الناس، فاشتد

خوفهم كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب].

ونجم النفاق حتى قال بعضهم: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط، وقال آخرون: ﴿ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ [الأحزاب: ١٣].، وأراد فريق منهم الفرار فاستأذنوا النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقالوا محتالين: ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ [الأحزاب: ١٣].، وما هي بعورة، وقد قلق رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين بلغه غدرهم، فتقنع بالثوب واضطجع، ومكث هكذا طويلاً، ثم نهض وقال: الله أكبر، وبشر المسلمين بالفتح والنصر.

- **افتراق الأحزاب ونهاية الغزوة:**

جاء في أثناء هذه الظروف القاسية نعيم بن مسعود الأشجعي، وهو من غطفان، وكان صديقاً لقريش واليهود، فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال: أنت رجل واحد، وماذا عسى أن تفعل، ولكن خذل عنا ما استطعت، فإن الحرب خدعة.

فذهب نعيم إلى قريظة، فلما رأوه أكرموه، فقال: تعرفون ودي لكم، وإني محدثكم حديثاً فاكتموه عني، قالوا: نعم، قال: قد رأيتم ما وقع لبني قينقاع، وبني النضير، وقد ظاهرتم قريشاً وغطفان، وهم ليسوا مثلكم، فالبلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون أن تتحولوا منه إلى غيره، وأما بلدهم وأموالهم ونساؤهم فبعيدة، فهم إن أصابوا فرصة انتهزوها وإلا لحقوا ببلادهم، وتركوكم ومحمداً ينتقم منكم كيف يشاء، قالوا: فما العمل؟ قال: لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن، قالوا: لقد أشرت بالرأي.

ثم توجه نعيم إلى قريش واجتمع برؤسائهم، وقال: تعلمون ودي لكم ونصحي إليكم، قالوا: نعم. قال: فإني محدثكم حديثاً فاكتموه عني، قالوا: نفعل، قال: فإن يهود قد ندموا على نقضهم عهد محمد، وخافوا أن ترجعوا وتتركوهم معه، فراسلوه أنهم يأخذون منكم رهائن، ويدفعونها إليه، ثم يوالونه عليكم، فرضي بذلك، فاحذروهم، وإن سألوكم رهائن فلا تعطوهم، ثم ذهب إلى غطفان فقال لهم مثل ذلك.

وبهذا التدبير الحكيم تشككت النفوس وتشققت، وأرسل أبو سفيان وفداً إلى قريظة يدعوهم إلى القتال غداً، فقالوا: إنا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهائن منكم، لكي لا تتركونا وتذهبوا إلى بلادكم، فقالت قريش وغطفان: صدقكم والله نعيم، وأرسلت قريش إلى اليهود تقول لهم: لا نرهنكم أحداً، واخرجوا للقتال، فقالوا صدقكم والله نعيم، فخارت عزائم الفريقين وتخاذلوا.

أما المسلمون فكانوا يدعون: «اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا»، وابتهل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ربه عَزَّوَجَلَّ: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم» فأرسل الله عليهم ريحا وجنوداً من الملائكة، فزلزلوهم وقذفوا في قلوبهم الرعب، وكفأت الريح قدورهم، وقلعت خيامهم، وضربهم البرد القارس حتى لم يقر لهم قرار، وبدأوا يتهيؤون للرحيل، وأرسل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إليهم، ليأتي بخبرهم، فذهب ودخل بينهم، ثم رجع، ولم يجد مس البرد، فلما رجع أخبر برحيل القوم ونام. فلما أصبح المسلمون رأوا ساحة القتال من جهة الكفار ليس فيها داع ولا مجيب: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

كانت بداية هذه الغزوة في شوال سنة ٥هـ، ونهايتها بعد نحو شهر في ذي القعدة، وكانت أكبر محاولة قام بها أعداء الإسلام لضرب المدينة، وللقضاء عليها، وعلى الإسلام والمسلمين، ولكن الله خيبهم، ورد كيدهم في نحورهم، وكان فشلهم بمجموع هذه القوات يعني أن الطوائف الصغيرة والمتفرقة أولى أن لا تجترئ على التوجه إلى المدينة، وقد أخبر بذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: الآن نغزوهم، لا يغزونا.

٤- غزوة بني قريظة:

رجع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الخندق ونزع السلاح والثياب، وبينما هو يغتسل في بيت أم سلمة جاءه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأمره بالنهوض إلى بني قريظة، وقال: إني سائر أمامك أزلزل بهم حصونهم، وأقذف في قلوبهم الرعب، ثم سار في موكبه من الملائكة، أما رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعلن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب، وقدمه في جماعة إليهم، وبادر المسلمون في الخروج، وخرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في موكب المهاجرين والأنصار حتى نزل على بئر من آبارهم اسمها: «أنا».

وألقى الله في قلوب اليهود الرعب، فتحصنوا في حصونهم، ولم يجترءوا على القتال، وحاصرهم المسلمون بشدة، ومع طول الحصار انهارت معنويات بني قريظة، حتى نزلوا بعد خمس وعشرين ليلة على حكم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاعتقل الرجال، وجعل النساء والذراري بمعزل عنهم في ناحية، وطلب حلفاؤهم الأوس أن يحسن إليهم، كما فعل ببني قينقاع حلفاء الخزرج، فقال: ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى، قال: فذاك إلى سعد بن معاذ، قالوا: قد رضينا.

وكان سعد في المدينة للجرح الذي أصابه في أثناء غزوة الخندق، فجاءوا به راكباً على حمار، فحكم فيهم أن يقتل الرجال، وتسبى الذرية، وتقسم الأموال، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات.

الأسئلة

س١: تحدث عن حادثة الرجيع، وفي أي سنة كانت؟

س٢: ما أسباب غزوة بني النضير، وماهي نتائجها؟

س٣: ضع علامة (√) أو (×) أمام الجمل الآتية:

١- غزوة بني المصطلق تسمى أيضا غزوة المريسيع ( )

٢- كان من سبي غزوة بني المصطلق جويرية بنت الحارث التي أعتقها رسول الله وتزوجها بعد أن أسلمت ( )

٣- حدثت غزوة بني المصطلق في السنة الرابعة من الهجرة ( )

س٤: حدثت حادثتان عظيمتان خلال غزوة بني المصطلق اذكرها. مع شرح واحدة منها.

س٥: من أشار على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفر الخندق في غزوة الأحزاب.

س٦: انسب الكلام الآتي إلى قائليها:

١- لا تمتني حتى تقر عيني من قريظة..................

٢- يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت................

٣- إني سائر أمامك أزلزل بهم صفوفهم وأقذف في قلوبهم الرعب ....

٤- لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات.........................

سادساً: الغزوات

(التي حدثت في السنة السادسة من الهجرة النبوية)

١- غزوة بني لحيان:

بنو لحيان هم الذين كانوا قتلوا المسلمين بالرجيع، وكانوا متوغلين في الحجاز إلى حدود عسفان، فأخر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرهم، حتى إذا تخاذلت الأحزاب واطمأن من الأعداء استعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وخرج إليهم في ربيع الأول سنة ٦هـ، في مائتين من الصحابة ومعهم عشرون فرساً، وأسرع السير إليهم حتى بلغ بطن غران حيث كان مصاب أصحابه، فترحم عليهم، ودعا لهم، وأقام في ذلك المكان يومين، أما بنو لحيان ففروا في رءوس الجبال، فلم يجد منهم أحداً، وأرسل عشرة فوارس إلى عسفان لتسمع بهم قريش فيداخلهم الرعب، فذهبوا إلى كراع الغميم، ثم رجع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة بعد أن غاب عنها أربع عشرة ليلة.

٢- عمرة الحديبية:

أُرِيَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام، وهو في المدينة، أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين، فأخبر بذلك المسلمين، وأخبر أنه يريد العمرة، واستنفر الأعراب الذين حوله، فأبطأوا، وظنوا أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً، وتخلصوا قائلين: شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا.

وخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الاثنين غرة ذي القعدة سنة ٦هـ، في ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار، وساق معه الهدي، ليعلم الناس أنه لم يخرج محارباً بل معتمراً، فلما بلغ ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم بالعمرة.

ثم سار حتى بلغ عسفان، وكانت قريش قد نزلوا بذي طوى، وأرسلوا خالد بن الوليد في مائتي فارس ليسد الطريق النافذ إلى مكة، ورأى خالد المسلمين في صلاة الظهر، وهم يركعون ويسجدون فقال: لقد كانوا على غرة، لو كنا حملنا عليهم، ثم قرر أن يهجم أثناء صلاة العصر، فأنزل الله صلاة الخوف بين الظهر والعصر، ففاتته الفرصة.

وأخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طريقاً آخر غير طريقهم، فسلك ذات اليمين من أسفل مكة، حتى بلغ ثنية المرار مهبط الحديبية، ثم قال: والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها، ثم زجرها فوثبت، فتقدم حتى نزل بالحديبية.

عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رسولاً إلى قريش، وبيعة الرضوان:

قرر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إرسال رسول إلى قريش يؤكد لهم أنه ما جاء إلا للعمرة، فأرسل عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأمره أيضاً أن يأتي المستضعفين من المؤمنين والمؤمنات بمكة، فيبشرهم بقرب الفتح، وأن الله مظهر دينه، حتى لا يستخفي في مكة أحد بالإيمان.

دخل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مكة في جوار أبان بن سعيد الأموي، فبلغ الرسالة وعرضوا عليه أن يطوف بالبيت، فأبى أن يطوف ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممنوع، وحبست قريش عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولعلهم أرادوا أن يتشاوروا فيما بينهم، ثم يرسلوه مع الجواب – وشاع بين المسلمين أنه قتل، وقَتْلُ الرسول يعني الإعلان عن الحرب، فلما سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك قال: لا نبرح حتى نناجز القوم، ودعا الناس وهو تحت شجرة، أن يبايعوه على القتال، فثار الناس إليه، وبايعوه – بحماس – على الموت، وعلى أن لا يفروا، وأخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إحدى يديه بالأخرى، وقال: هذه عن عثمان، ولما انتهت البيعة جاء عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأنزل الله في فضل هذه البيعة ﴿لَّقَدۡ

﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح:١٨]، ومن هنا سميت هذه البيعة ببيعة الرضوان.

عقد الصلح (صلح الحديبية):

سمعت قريش بهذه البيعة فداخلهم رعب عظيم، وأسرعوا بإرسال سهيل بن عمرو لعقد الصلح، فجاء وتكلم طويلاً حتى قبل منه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشروط الآتية:

١- أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرجع مع المسلمين هذا العام، ولا يدخل مكة، ويدخلها العام القابل، فيقيم بها ثلاثة أيام، ولا يكون معه من السلاح إلا بالسيف في القراب.

٢- توضع الحرب بين الفريقين عشر سنين.

٣- من أراد أن يدخل في عهد محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه.

٤- من التجأ من قريش على المسلمين يرده المسلمون إلى قريش، ومن التجأ من المسلمين إلى قريش لا ترده قريش إلى المسلمين.

أثر الصلح على الدعوة:

إشارة إلى بعض الحكم التي تضمنها صلح الحديبية قال ابن القيم: وهي أكبر وأجل من أن يحيط بها إلا الله الذي أحكم أسبابها فوقفت الغاية على الوجه الذي اقتضته حكمته وحمده:

١- فمنها انها مقدمة بين يدي الفتح الأعظم، وهذه سنته سبحانه في الأمور العظام شرعا وقدرا أن يوطئ لها بين يديها بمقدمات، وتواطنات تؤذن بها وتدل عليها.

٢- ومنها أن هذه الهدنة كانت من أعظم الفتوح، فإن الناس أمن بعضهم بعضاً واختلط المسلمون بالكفار، ونادوهم بالدعوة وأسمعوهم القرآن وناظروهم على الإسلام جهرة أمنين، وظهر من كان مختفياً بالإسلام ودخل فيه في مدة الهدنة من شاء الله أن يدخل، ولهذا أسماه الله فتحاً مبيناً، قال مجاهد: هو ما قضى الله له بالحديبية.

فكانت تلك الشروط من أكبر الجند التي أقامها المشترطون لحزبهم، فذلوا من حيث طلبوا العز، وعز المسلمون من حيث انكسروا لله، فانقلب العز بالباطل ذلاً بحق وانقلبت الكثرة لله عزا بالله وظهر حكمة الله وآياته وتصديق وعده ونصرة رسوله على أتم الوجوه وأكملها التي لا اقتراح للعقول ورائها.

مكاتبة الملوك والأمراء

ولما عاد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عمرة الحديبية، وقد أبرم الصلح مع قريش، وأمن جانبهم، بدأ بإرسال الكتب إلى الملوك والأمراء، يدعوهم فيها إلى الإسلام، وهذه هي تلك الكتب بإيجاز:

١- كتابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى النجاشي: أصحمة بن الأبجر ملك الحبشة:

وكتب فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الإسلام، فإني أنا رسوله، فأسلم تسلم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، فإن أبيت فإن عليك إثم النصارى من قومك».

وبعث الكتاب مع عمرو بن أمية الضمري، فلما أخذه النجاشي وضعه على عينيه، ونزل عن سرير، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب، وكتب إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسلامه وبيعه، وزوج أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصدقها من عنده أربعمائة دينار، وأرسلها والمهاجرين في سفينتين مع عمرو بن أمية الضمري، فقدم بهم والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخيبر.

مات النجاشي هذا في رجب سنة ٩هـ فنعاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم وفاته، وصلى عليه صلاه الغائب.

٢- كتابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المقوقس ملك الإسكندرية:

وكتب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتاباً إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم» من محمد عبدالله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط، ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وبعث الكتاب مع حاطب بن أبي بلتعة، فكلمه حاطب وأبلغه الكتاب، فأكرمه المقوقس، ووضع الكتاب في حُقٍّ[١] من عاج، وختم عليه، واحتفظ به، وكتب إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقر فيه بأن نبياً قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، ولكنه لم يسلم، وأهدى جاريتين: مارية وسيرين، وكان لهما في القبط مكان عظيم، وأهدى كسوة، وبغلة اسمها دلدل، فاختار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مارية لنفسه، والبغلة لركوبه، ووهب سيرين لحسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣- كتابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كسرى ملك فارس:

كتب إليه «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة:

---

(١) الحق وعاء ذو غطاء

﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[يس: ٧٠]. فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك».

وبعث الكتاب مع عبدالله بن حذافة السهمي، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، ليدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرئ عليه الكتاب مزقه، وقال: عبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبلي، فلما بلغ ذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مزق الله ملكه» ووقع كما قال، فقد انهزم جيشه أمام الروم هزيمة منكرة، ثم انقلب عليه ابنه شيرويه، فقتله وأخذ ملكه، ثم استمر فيه التمزق والفساد إلى أن استولى عليه الجيش الإسلامي في زمن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم لم تقم لهم قائمة.

٤- كتاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قيصر ملك الروم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران: ٦٤].

وبعث الكتاب مع دحية بن خليفة الكلبي، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بُصرى، ليدفعه إلى قيصر، وكان قيصر قد جاء من حمص إلى بيت المقدس ماشياً على قدميه، شكراً لله تعالى على ما حصل له من الفتح والانتصار على الفرس، فلما جاءه الكتاب أمر لدحية بن خليفة الكلبي بمال وكسوة، ثم رجع إلى حمص، فأذن لعظماء الروم في دسكرة له، وأمر بأبوابها فأغلقت، ثم قال: يا معشر الروم! هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم؟ فتتابعوا هذا النبي، فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها مغلقة،

فلما رأى قيصر نفرتهم قال: ردوهم علي، فقال لهم: إني قلت مقالتي أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فرضي بالدنيا عن الآخرة فخاب وخسر.

وكتب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابا إلى أمير دمشق وأمير بُصْرَى فقتل الرسول الذي بعثه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له فشق ذلك على رسول الله فأرسل له جيشا كما سنبين في موضعه (غزوة مؤته)، كما بعث رسله إلى أمير اليمامة وملك البحرين فلم يسلموا كلهم.

سابعاً: الحوادث والغزوات

(في السنة السابعة من الهجرة النبوية)

١- غزوة الغابة:

وقعت هذه الغزوة في السابع من شهر المحرم من السنة السابعة من الهجرة النبوية وسببها إغارة عبدالرحمن بن عيينة بن حصن الفزاري من بنو غطفان على إبل للمسلمين بالغابة، فخرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخمسمائة رجلاً لمطاردته، فبقوا في مكان اسمه(ذو قَرَد) قريباً من المدينة مدة خمسة أيام، وقُبض عليه وقتلوه وأخصلوا الإبل المسروقة، وهرب باقي المشركين ورجع المسلمون إلى المدينة.

٢- غزوة خيبر:

في المحرم سنة سبع من الهجرة خرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى خيبر، وجاء من تخلف عن الحديبية ليؤذن له، فنادى في الناس أن لا يخرجوا معه إلا رغبة في الجهاد، أما الغنيمة فلا يعطى لهم منه شيء، فلم يخرج معه إلا أصحاب الشجرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة، واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري.

ثم سلك الطريق الموصلة إلى خيبر، حتى إذا كان في منتصف الطريق تقريباً اختار طريقاً آخر يوصله إلى خيبر من جهة الشام، ليحول بينهم وبين فرارهم إلى الشام، وبات الليلة الأخيرة قريباً من خيبر، ولم تشعر به اليهود، فلما أصبح صلى الفجر بغلس، ثم ركب هو والمسلمون متجهين إلى مساكن خيبر.

أما اليهود فقد خرجوا ليعملوا في أرضهم وهم لا يعلمون، فلما رأوا الجيش رجعوا هاربين يقولون: (محمد والله، محمد والخميس) فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الله أكبر،

خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»، وخيبر على بعد ١٧١ كيلومتراً شمالي المدينة وكانت مساكنها منقسمة إلى عدة حصون.

وكان اليهود قد نقلوا نساءهم وذراريهم إلى حصن الشق ليلاً، وقرروا البروز للقتال في ذلك الصباح، فلما ذهب إليهم علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وجدهم متجهزين للقتال، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورفضوا، فكانت المبارزات الفردية أولاً، ثم دار القتال المرير، قتل فيه عدد من سراة اليهود، وانهارت معنوياتهم، فانكشفوا عن مواقفهم، وتبعهم المسلمون حتى دخلوا حصونهم وانهزم اليهود إلى بعض حصونهم وقد غنم المسلمون كثيراً من الطعام والسلاح، والذهب والفضة والجواهر، وبهذا فتحت خيبر وصارت تحت القيادة الإسلامية بعد قتل ثلاثة وتسعين رجلاً من اليهود، وسُبيت نساؤهم وذراريهم ومنهن صفية بنت حيي بن أخطب التي كانت في سهم دحية الكلبي فاشتراها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأعتقها وتزوجها.

غدر اليهود وقصة الشاة المسمومة:

وبعدما عاد الهدوء، وذهب الخوف عاد اليهود إلى خبثهم، وتآمروا على قتل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فأهدوا إلى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ شاة مسمومة بواسطة امرأة سلام بن مشكم: أحد كبرائهم، وقد علمت أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يعجبه الذراع، فأكثرت السم فيه، وتناول منه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَلَاكَها، ثم لفظها، وقال: إنها شاة مسمومة، وسأل المرأة واليهود فاعترفوا بجريمتهم، قالوا: قلنا: إن كان ملكاً نستريح منه، وإن كان نبياً لا يضره، فعفا عنهم وعن المرأة، ثم إن بشر بن البراء بن معرور مات من أجل هذا السم فأمر بقتل المرأة قصاصاً.

٣- غزوة ذات الرقاع:

ولما رجع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من خيبر، واطمأن بالمدينة سمع بتجمع البدو من بني أنمار وثعلبة ومحارب، فاستعمل على المدينة عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وقصد في نحو سبعمائة من الصحابة موضعاً يقال له نخل، على بعد يومين من المدينة، فلقي جمعاً من غطفان، فتقارب الفريقان، وأخاف بعضهم بعضاً، ولم يدر القتال، وأقيمت الصلاة، فصلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بالمسلمين صلاة الخوف، ثم ألقى الله الرعب في قلب العدو فتفرق جمعه، وعاد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة.

وسميت هذه الغزوة بذات الرقاع، لأن أقدام المسلمين نقبت لأجل المشي، فلفوا عليها الخرق، وهي الرقاع، وقيل: لأن أراضيها وجبالها ذات ألوان مختلفة كأنها رقاع، وقيل: بل هي اسم لمكان الغزوة.

ومن أروع ما وقع في هذه الغزوة أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ نزل ذات يوم تحت شجرة ظليلة، فعلق بها سيفه ونام، وتفرق الناس تحت الأشجار وناموا، فجاء رجل من المشركين، فأخذ سيف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وهو نائم، فاستيقظ وهو في يده صلتا فقال: أتخافني؟ قال: لا. قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله، فسقط السيف من يده. فأخذه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وقال: من يمنعك مني؟ قال: كن خير آخذ، فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم، ولكنه أعطى العهد أنه لا يقاتله، ولا يكون مع قوم يقاتلونه، فخلى سبيله، فذهب إلى قومه، وقال: جئتكم من عند خير الناس، لما رأى من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من مكارم الأخلاق ونبل الصفات، وقيل أن بعض قومه قد أسلم.

٤- عمرة القضاء:

وفي ذي القعدة سنة ٧هـ خرج رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعمرة التي تم الاتفاق عليها في صلح الحديبية، واستخلف على المدينة أبا رهم الغفاري، وساق معه ستين بدنة، وحمل معه السلاح حذراً من غدر قريش، وأحرم من ذي الحليفة ولبىَّ، ولبىَّ معه المسلمون، وواصل سيره حتى إذا بلغ وادي يأجج وضع السلاح، وخلف عليها أوس بن خولي الأنصاري، في مائتين من الصحابة، وتقدم بسلاح الراكب: السيوف في القرب، فدخل مكة وهو على ناقته القصواء، والمسلمون متوشحون السيوف، محدقون به، يلبي ويلبون، حتى دخل المسجد الحرام، فاستلم الحجر الأسود بمحجنه، ثم طاف – وهو على راحلته – وطاف معه المسلمون، ويرملون[1] حول البيت.

وكان المشركون جالسين على جبل قعيقعان – شمالي الكعبة – وقد قالوا فيما بينهم: إنه يقدم عليكم وفد قد وهنتهم حمى يثرب، فلما رأوا المسلمين يرملون قالوا: هؤلاء أجلد من كذا كذا، وكان رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرهم أن يرملوا في الأشواط الثلاثة الأولى ليرى المشركين قوتهم، إلا ما بين الركن اليماني والحجر الأسود، فإنه في الجنوب، في جهة لم يكن يراها المشركون، فلما فرغ من الطواف سعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، ثم نحر هديه عند المروة، وحلق رأسه، وكذلك فعل المسلمون، ثم بعث رجالاً من الصحابة إلى بطن يأجج ليكونوا على السلاح، ويأتي من بقي هناك من الصحابة فيؤدوا نسكهم.

وأقام بمكة ثلاثة أيام، تزوج خلالها ميمونة بنت الحارث الهلالية – وكانت زوجة سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، وخالة ابن العباس – فلما بلغتها الخطبة وكل أمرها إلى العباس، فزوجها العباس بالنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) الرَّمل: إسراع المشي مع تقارب الخطى.

وفي صبيحة اليوم الرابع غادر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة راجعاً إلى المدينة، فلما بلغ سرف على بعد تسعة أميال من مكة نزل بها وأقام، وهناك زفت إليه ميمونة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – فبنى بها، ثم عاد إلى المدينة فرحاً مسروراً بما حباه الله من تصديق رؤياه، وشرفه بطواف بيته.

وبعد رجوعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عمرة القضاء أرسل عدة سرايا إلى جهات متعددة أهمها سرية مؤتة، ثم سرية ذات السلاسل.

الأسئلة

س١: أكمل الجمل الآتية:

١- بنو لحيان هم الذين............ وكانوا متوغلين في الحجازي إلى حدود عسفان، حتى إذا تخاذلت الأحزاب واطمأن من الأعداء استعمل على المدينة .... وخرج إليهم في .... سنة...............

٢- أري رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام وهو في المدينة أنه............ فأخبر بذلك المسلمين، وأخبر بأنه يريد...............

٣- أخذ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إحدى يديه بالأخرى في بيعة الرضوان وقال هذه عن................ وأنزل الله في فضل هذه البيعة ((.................. ....)).

س٢: ما هي شروط صلح الحديبية وأثره على الدعوة؟

س٣: ما الذي جاء في الكتاب الذي بعثه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اصحمه بن الأبجر ملك الحبشة، وكيف كان موقف ملك الحبشة من هذا الكتاب.

س٤: ما الذي جاء في الكتاب الذي بعثه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قيصر ملك الروم، وما موقفه منه.

س٥: تحدث عن غزوة خيبر ونتائجها.

س٦: متى كانت غزوة القضاء وماهي أحداثها.

ثامناً: الغزوات

(التي وقعت في السنة الثامنة من الهجرة النبوية)

معركة مؤتة:

سبق في ذكر كتب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الملوك والأمراء أن شرحبيل بن عمرو الغساني كان قد قتل الحارث بن عمير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حامل كتاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عظيم بصرى، وكان ذلك بمثابة إعلان الحرب، فلما بلغ ذلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشتد عليه فجهز جيشا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وأمر عليهم زيد بن الحارثة، وقال: إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة، وعقد لواءًا أبيض حمله زيد بن حارثة، وشيع الجيش إلى ثنية الوداع، ثم ودعه.

فسار الجيش حتى نزل معان – بجنوب الأردن – فبلغهم أن هرقل نزل البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من منتصرة العرب مائة ألف من لخم وجذام وبلي، فتشاوروا ليلتين هل يكتبون ذلك إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويطلبون منه المدد – أم يقدمون على الحرب؟ فشجعهم ابن رواحة بأن الذي تكرهونه – وهي الشهادة – إنما خرجتم تطلبونه، ونحن ما نقاتل بعدد ولا قوة ولا كثرة، وإنما نقاتل بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، وما هي إلا إحدى الحسنيين، إما الظهور وإما الشهادة، فقالوا: صدق والله ابن رواحة، فتقدموا ونزلوا بمؤتة، وتعبؤوا وتهيؤوا للقتال، ودارت معركة عنيفة ورهيبة، وعجيبة في تاريخ البشر: ثلاثة آلاف مقاتل يواجهون جيشاً عرمرماً – مائتي ألف – ويصمدون في وجهه، وهذا الكم الهائل من المدججين بالسلاح يهجم عليهم طول النهار، ويفقد كثيراً من أبنائه وأبطاله، ولا ينجح في دحرهم.

أخذ راية المسلمين زيد بن حارثة فقاتل وقاتل حتى خر شهيداً، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فقاتل وقاتل حتى قطعت يمينه فأخذ الراية بشماله، فقطعت شماله، فاحتضنها بعضديه، إلى أن قتل بعد أن أصابته بضع وتسعون من طعنة ورمية، وجاءت نوبة عبدالله بن رواحة فأخذ الراية وتقدم، فلم يزل يقاتل حتى قتل، وحتى لا تسقط الراية أخذها ثابت بن أرقم، وقال للمسلمين: اصطلحوا على رجل، فاصطلحوا على خالد بن الوليد، وبذلك انتقلت الراية إلى سيف من سيوف الله، وتقدم خالد بن الوليد فقاتل قتالاً منقطع النظير حتى انقطعت في يده تسعة أسياف، وأخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه بالمدينة في اليوم نفسه بمقتل القادة الثلاثة رضوان الله عليهم، وبانتقال القيادة إلى خالد بن الوليد، وسماه سيفاً من سيوف الله.

وبانتهاء النهار رجع الفريقان إلى مقرهما، فلما أصبحوا غيَّر خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ترتيب العسكر، فجعل الساقة مقدمة، والمقدمة ساقة، والميسرة ميمنة، والميمنة ميسرة، فظن العدو أن المدد قد وصل للمسلمين فداخله الرعب، وبعد مناوشة خفيفة بدأ خالد يتأخر بالمسلمين، فلم يجترئ العدو على التقدم خوفاً من أن تكون خدعة، فانحاز المسلمون إلى مؤتة، ومكثوا سبعة أيام يناوشون العدو، ثم تحاجز الفريقان وانقطع القتال لأن الروم ظنوا أن الإمدادات تتوالى على المسلمين وأنهم يكيدون بهم ليجروهم إلى الصحراء حيث لا يمكنهم التخلص، وبذلك كانت كفة المسلمين راجحة في هذه الغزوة.

وقتل في هذه الغزوة اثنا عشر رجلاً من المسلمين، أما عدد قتلى العدو فلم يعرف، إلا أنهم قتلوا بكثرة.

سرية ذات السلاسل:

نظراً لموقف عرب الشام في معركة مؤتة رأى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القيام بعمل حكيم يكفهم عن نصرة الرومان والقيام بجانبهم، فأرسل إليهم عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في ثلاثمائة من الصحابة، ومعهم ثلاثون فرساً، ليستأنفهم، لأن أم أبيه كانت من قبيلة بلي إحدى قبائلهم، فإن أبوا فليلقنهم درساً على قيامهم بجانب الروم، فلما قرب منهم، بلغه أن لهم جمعاً كبيراً، فاستمد من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمده بمائتين من سراة المهاجرين والأنصار، وعليهم أبو عبيدة بن الجراح، وكان عمرو بن العاص هو الأمير العام وإمام الصلاة، فجاء بلاد قضاعة حتى لقي جمعاً، فلما هجم عليهم فروا وتفرقوا.

والسلاسل بقعة ماء أو بئر عرف بالسلاسل وراء وادي القرى، إليها نسبت هذه السرية، لأن المسلمين نزلوا بها، وكان ذلك في جمادي الآخرة سنة ٨هـ، أي بعد الشهر الذي وقعت فيه معركة مؤتة.

١- الفتح الأعظم: فتح مكة المكرمة:

وفي رمضان سنة ٨ من الهجرة فتح الله تعالى لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة المكرمة، وهو الفتح الأعظم، وأعز الله به دينه ورسوله، وأنقذ به بيته وبلده، واستبشر به أهل السماء، ودخل به الناس في دين الله أفواجاً.

وسببه أن بني بكر دخلوا مع قريش في عهد الحديبية، وكانت بينهم وبين خزاعة دماء وثأرات في الجاهلية اختفت نارها بظهور الإسلام، فلما وقعت هدنة الحديبية اغتنمها بنو بكر، وأغاروا في شهر شعبان سنة ٨ هـ على خزاعة ليلاً، وهم على ماء يقال له: الوتير، فقتلوا منهم ما يربو على عشرين، وطاردوهم إلى مكة حتى قاتلوهم فيها، وأعانتهم قريش سراً برجال وسلاح، وكانت خزاعة قد دخلت مع المسلمين في عهد

الحديبية، وكان قد أسلم عدد منهم، فأبلغوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخبر، فقال: والله لأمنعنكم مما أمنع نفسي منه.

وأحست قريش بسوء فعلتها، وخافت نتائجها، فأسرعت بإرسال أبي سفيان إلى المدينة ليوثق العقد ويزيد في المدة، فقدم أبو سفيان المدينة، ودخَل على ابنتِه أمِّ المؤمنين أمِّ حبيبة، فأقبل ليجْلِسَ على فراش النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فطوته عنه فقال لها: يا بُنية، ما أدري، أرغبتِ بِي عن هذا الفراش أم رغبتِ به عنِّي؟ قالت: بل هو فراش رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنتَ مُشْرِكٌ نَجس، قال: والله لقد أصابك بعدي شر.

ثم جاء رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكلمه فلم يرد شيئاً، فذهب إلى أبي بكر ليكلم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ما أنا بفاعل، فأتى عمر فأبى، وشدد في الكلام، فأتى عليا فاعتذر، وأشار عليه أن يجير بين الناس ويرجع، ففعل.

أما رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتجهز للغزو، وأمر أصحابه بذلك، واستنفر الأعراب الذين حول المدينة، وكتم الخبر، ودعا الله: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش، حتى نبغتها في بلادها».

- **التوجه إلى مكة:**

ولعشر من رمضان سنة ٨هـ غادر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، متجهاً إلى مكة، ومعه عشرة آلاف من المسلمين، واستعمل على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين الغفاري، ولما بلغ الجحفة لقيه عمه العباس مع أهله مسلماً مهاجراً، ثم جاء أبو سفيان مع العباس إلى رسول الله حين اقترب جيش المسلمين من مكة وأعلن إسلامه، فقال العباس: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً، قال: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن».

- **دخول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة المكرمة:**

وفي الصباح تقدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة، وأسرع الناس إلى بيوتهم وإلى المسجد الحرام، ولما وصل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ذي طوى أمر خالد بن الوليد قائد الميسرة أن يدخل مكة من أسفلها من طريق كَدى حتى يوافيه على الصفا. وأمر الزبير قائد الميمنة وحامل راية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدخل مكة من أعلاها من كداء، ويغرز رايته بالحجون، ولا يبرح حتى يأتيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمر أبا عبيدة قائد الرجالة ومن لا سلاح له أن يأخذ بطن الوادي حتى ينزل بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم سار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبجانبه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحادثه وهو يقرأ سورة الفتح، حتى دخل المسجد الحرام، وحوله المهاجرون والأنصار، فاستلم الحجر الأسود وطاف بالبيت وهو على الراحلة، ولم يكن محرماً، وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سبأ: ٤٩]، والأصنام تتساقط على وجوهها، ولما فرغ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الطواف دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة، وأمر بفتحها، ثم أمر بما فيها من الأصنام فأخرجت وكسرت، وأمر بما فيها من الصور فمحيت.

- **أخذ البيعة من الرجال والنساء:**

ثم أتى الصفا فعلا عليه حيث ينظر على البيت، فرفع يديه يدعو، ثم بايع الناس على الإسلام، وممن أسلم يومئذ أبو قحافة والد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ففرح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسلامه، ثم بايع النساء بعد الرجال على: ﴿ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا

وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ ﴾ [الممتحنة: ١٢].

وقد جاء بعض الناس ليبايعوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ على الهجرة فقال: «ذهب أهل الهجرة بما فيهم، ولا هجرة بعد فتح مكة، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا». متفق عليه

- إقامة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بمكة:

ولما تم فتح مكة تخوف الأنصار أن يقيم بها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، لأنها بلده وبلد عشيرته وقومه – وذلك حين كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ على الصفا، رافعاً يديه يدعو – فلما فرغ من الدعاء قال لهم: «معاذ الله، المحيا محياكم والممات مماتكم» فاطمأن الأنصار وذهب خوفهم وفرحوا.

وبقي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بمكة تسعة عشر يوماً يجدد معالم الإسلام، ويطهرها من آثار الجاهلية، وقد جدد أنصاب الحرم، ونادى مناديه: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره.

- هدم صنم العزّى وسواع ومناة:

ولخمس وعشرين من رمضان بعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ في ثلاثين فارساً إلى نخلة، ليهدم العزى وهيكلها، فتوجه إليها وهدمها، وكانت أكبر أصنامهم، ثم أرسل عمرو بن العاص في رمضان نفسه لهدم سواع، وهو أعظم صنم لهذيل، شمال شرقي مكة، فذهب إليه وهدمه، وأسلم سادنه لما رأى من عجزه.

ثم بعث سيد بن زيد الأشهلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في رمضان نفسه إلى مناة في عشرين فارساً، وكانت بالمشلل عند قديد، وهي صنم بنو كلب وخزاعة وغسان والأوس والخزرج، فأتاها وكسرها، وهدم هيكلها.

٢- غـزوة حنين:

ولما تم فتح مكة اجتمعت هوزان وثقيف، فقالوا: قد فرغ محمد من قتال قومه. ولا ناهية له عنا، فَلْنَغْزُهُ قبل أن يغزونا، فأجمعوا أمرهم للحرب، فتحشد جمع كبير، ومعهم نساءهم وذراريهم وأموالهم، وجمعوا المقاتلين في وادي حنين، ونصبوا فيه كمائن، وعلم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بتجمعهم فخرج من مكة ومعه اثنا عشر ألف مقاتل.

وفي الطريق رأى المسلمون سدرة عظيمة كانت تعلق عليها العرب أسلحتهم، ويذبحون ويعكفون عندها، يقال لها: ذات أنواط، فقال بعضهم لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال: «الله أكبر، قلتم كما قال قوم موسى لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون، إنها السنن. لتركبن سنن من كان قبلكم»، وقال بعضهم نظراً لكثرة الجيش: لن نغلب اليوم، فشق ذلك على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وفي الليلة العاشرة من شهر شوال سنة ٨هـ وصل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى وادي حنين، فعبأ جيشه سحراً قبل يدخل، ولبس درعين والبيضة والمغفر، ثم بدأت مقدمة الجيش تنحدر بالوادي، وهي لا تعلم بوجود كمائن العدو فيه، فبينما هي تنحط فيه إذ العدو يمطر عليهم النبال كأنها جراد منتشر، فاضطربت مقدمة الجيش بهذه المفاجأة، فاختلط أمر المسلمين وكادوا أن يُهزموا، وأما رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فثبت في قليل من المهاجرين والأنصار، وطفق يركض بغلته ليتقدم نحو العدو، وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فتلاحقت كتائب المسلمين نحوه حتى اجتمع حوله ﷺ جمع عظيم، وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنوداً لم يروها، فكرّ المسلمون على عدوهم واحتدم القتال، فقال ﷺ: «الآن حمي الوطيس» وأخذ قبضة من تراب فرمي بها وجوه القوم، وقال: شاهت الوجوه، فملأ أعينهم تراباً، حتى تفرقوا وهربوا، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، حتى أخذوا النساء والذراري، وأسروا كثيراً من المحاربين، وأسلم كثير من مشركي مكة لما رأوا من عناية الله برسوله.

هرب المشركون وتفرقوا ثلاث فرق: فرقة لحقت بالطائف، وهم الأكثر، وفرقة لحقت بنخلة، وفرقة عسكرت بوادي أوطاس قرب حنين، فأرسل رسول الله ﷺ إلى أوطاس أبا عامر الأشعري، في جماعة من المسلمين، ففرقهم وظفر بما كان معهم من الغنائم، واستُشهد أبو عامر الأشعري في هذه المعركة، فخلفه ابن أخيه أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورجع مظفراً منصوراً، وطاردت طائفة من فرسان المسلمين فلول المشركين المنهزمين إلى نخلة، وظفروا بهم، وأمر رسول الله ﷺ بجمع الغنائم والسبي، وكانت كثيرة لا تحصى، فجمع ذلك كله بالجعرانة، وجعل عليها مسعود بن عمرو الغفاري.

٣- غزوة الطائف:

ثم تقدم إلى الطائف، ولما وصل إلى الطائف وجد العدو قد تحصن به ومعه قوت سنة، ففرض عليه الحصار، وكان المسلمون نازلين قريباً من العدو، فرشقهم بالنبال حتى أصيب عدد من المسلمين بجراحات، فارتفعوا إلى محل مسجد الطائف اليوم.

واختار المسلمون عدة تدابير لإرغام العدو على النزول، ولكنها لم تنجح، وكان خالد بن الوليد يخرج كل يوم يدعوهم إلى المبارزة، فلم يخرج منهم أحد، ونصب عليهم المنجنيق فلم يؤثر، وحاولوا نقب الحصن فرمى العدو عليهم قطعات من حديد محماة

بالنار، فاضطروا إلى الرجوع، ولم يتمكنوا من نقب الجدار، وقطعت أعنابهم ونخيلهم فناشدوا الله والرحم فتركت، ونادى منادي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيما عبد نزل إليها من الحصن فهو حر، فنزل ثلاثة وعشرون عبداً فيهم أبو بكرة – تسور حصن الطائف، وتدلى منه ببكرة يستقي عليها، فكناه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأبي بكرة.

وطال الحصار دون جدوى – فقد دام حوالي عشرين يوماً، وقيل شهراً كاملاً – فاستشار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نوفل بن معاوية الديلي، فقال: هم ثعلب في جحر، إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لم يضرك فأمر بالرحيل.

- **تقسيم الغنائم والسبي:**

وعاد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الطائف إلى الجعرانة، فمكث بها بضعة عشر يوماً لا يقسم الغنائم، يبتغي أن يقدم هوازن تائبين، فيحرزوا أموالهم وسباياهم، فما جاء أحد، فأخرج الخمس من الغنيمة، وأعطاها لأناس ضعفاء في الإسلام يتألفهم، ولأناس لم يسلموا بعد، ليحبب إليهم الإسلام، حتى شاع بين الناس ان محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، فازدحم الأعراب يطلبون منه، حتى ألجأوه إلى شجرة، فتعلق بها رداؤه، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ردوا علي ردائي، فو الذي نفسي بيده لو كان لي عدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم، ثم ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً، ثم أخذ وبرة من سنام بعير وقال: والله ما لي من فيئكم، ولا هذه الوبرة، إلا الخمس، والخمس مردود عليكم، فأدوا الخياط والمخيط، فإن الغلول يكون على أهله عاراً وشناراً وناراً يوم القيامة». حسنه الالباني.

- **وفد هوازن وعمرة الجعرانة:**

وبعد أن تم توزيع الغنائم قدم وفد هوازن، يرأسه زهير بن صرد، فأسلموا وبايعوا، وردّ المسلمون عليهم أهليهم وأبناءهم.

ولما فرغ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قسمة الغنائم أحرم للعمرة – وهي عمرة الجعرانة – فاعتمر، حيث دخل مكة من الجعّرانة، ثم قفل راجعاً إلى المدينة، فبلغها لست أو ثلاث بقين من ذي القعدة، وقد نصره الله جل وعلا وفتح مكة.

تاسعاً: أحداث وغزوات وقعت

(في السنة التاسعة من الهجرة النبوية)

حادثة هدم صنم بني طيء وإسلام عدي بن حاتم:

وفي شهر ربيع الآخر سنة ٩هـ أرسل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب في مائة وخمسين رجلاً ليهدم صنم بني طيء المعروف **(بالفُلْس)**، فشن المسلمون الغارة على محلة حاتم الطائي المعروف بالجود والكرم، فأصابوا نعماً وشاء وسبيا، وفيها سفانة بنت حاتم الطائي، فلما جاءوا بها إلى المدينة منّ عليها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأطلقها بغير فدية، وأكرمها وأعطاها الراحلة، فذهبت إلى الشام، وكان أخوها عدي بن حاتم قد هرب إليها، فقالت له عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لقد فعل فعلة ما كان أبوك يفعلها، ائته راغباً أو راهباً، فجاء عدي بغير أمان ولا كتاب، فلما كلم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسلم مكانه.

وبينا هو عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء رجل يشكو إليه الفاقة، ثم جاء آخر يشكو قطع السبيل، فقال: ياعدي! هل رأيت الحيرة؟ فلئن طالت بك حياة فلترين الظعينة ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحداً إلا الله، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله، فلا يجد أحداً يقبله منه، وقد رأى عدي خروج الظعينة، وحضر فتح كنوز كسرى.

١- غـزوة تبـوك:

كانت لمعركة مؤته سمعة سيئة للرومان وقواتهم، فقد كان لنجاح المسلمين وهم ثلاثة آلاف فقط مقابل مائتي ألف من قوات الرومان أثر بالغ في نفوس القبائل العربية المجاورة للشام، وأخذت هذه القبائل تتطلع إلى الاستقلال، فرأى الرومان أن يقوموا بغزوة حاسمة يقضون بها على المسلمين في عقر دارهم (المدينة النبوية).

وسمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتجمع الروم واستعدادهم، فاستنفر المسلمين من كل مكان، وأعلن عن جهة الغزوة صراحة، وليأخذ الناس عدتهم الكاملة، إذ كان الزمان زمان حر شديد والشقة بعيدة، وكان الناس في عسر وجدب، وقد طابت الثمار والظلال، فكانوا يحبون المقام فيها، فحث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الموسرين على تجهيز المعسرين، فتقدم المسلمون بما لديهم، وأول من جاء بماله أبو بكر ثم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنفق عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثيراً، وقد قال فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم، وتتابع الناس بصدقاتهم، كل على قدره، حتى أنفق بعضهم مداً أو مدين لم يستطع غيره، وجاءه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقراء الصحابة يطلبون أن يحملهم، فقال: ﴿ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة: ٩٢]، فجهزهم عثمان والعباس وغيرهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وتكلم المنافقون، فلمزوا من أنفق الكثير، وسخروا ممن أنفق القليل، وسخروا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جرأته على لقاء الرومان، ولم يكتفوا بذلك بل أخذوا يستهزئون بأهل الإيمان ويسخرون منهم وينكتون عليهم وقالوا "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، وأكذب ألسنة، وأجبن عند اللقاء"، فلما سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقالتهم ووصل إليه خبرهم اعتذروا عن هذا الكلام القبيح وقالوا إنما قلناه على سبيل الهزل واللعب وليس على سبيل الجد والحقيقة فأنزل الله فيهم ﴿وَلَئِن

سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة].

استعمل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المدينة محمد بن مسلمة، وخَلَّف علي بن أبي طالب على أهله، وتحرك من المدينة يوم الخميس، ومعه ثلاثون ألف مقاتل، يريد تبوك، وكانت قلة شديدة في الظهر والزاد، فكان ثمانية عشر رجلاً يتعقبون بعيراً واحداً، وأكل الناس أوراق الشجر حتى تورمت شفاههم، واضطروا إلى ذبح البعير ليشربوا ما في كرشه من الماء، وبينما الجيش في طريقه إلى تبوك إذ لحقه علي بن أبي طالب، إذ سمع طعون المنافقين فيه فلم يصبر حتى خرج، فرده رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي.

وفي الطريق كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، جمع التقديم والتأخير، حتى نزل تبوك، عملت الروم بنزول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تبوك فخارت عزائمهم، ولم يجترؤا على اللقاء، فتفرقوا في داخل بلادهم، وبقي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشرين يوماً يرهب العدو، ويستقبل الوفود.

- العودة إلى المدينة وحادثة العقبة:

وبعد عشرين يوماً تحرك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، وقد استغرق الذهاب والعودة ثلاثين يوماً، فجملة ما غاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المدينة خمسون يوماً، وفي الطريق مر الجيش بعقبة، فأخذ الناس بطن الوادي، وسلك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طريق العقبة، ولم يكن معه إلا عمارٌ آخذاً بزمام الناقة، وحذيفة بن اليمان يسوقها، فتبعه اثنا عشر رجلاً من المنافقين يريدون اغتياله، واقتربوا منه جداً وهم ملتثمون، فبعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم حذيفة، ليضرب وجوه رواحلهم بمحجن كان معه، فضربها، فأرعبهم الله، وأسرعوا بالفرار حتى لحقوا بالقوم، وأخبر

رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بأسمائهم، وهو صاحب سر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- **هدم مسجد الضرار:**

وكان المنافقون قد بنوا بقباء مسجداً ضراراً كفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله، وطلبوا من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصلي لهم فيه، وذلك عندما كان يستعد للخروج إلى تبوك، فقال: إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله، فلما كان في مرجعه من تبوك، وليس بينه وبين المدينة إلا يوم أو بعض يوم، نزل جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بخبر المسجد، فبعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحرقه وهدمه.

- **الموقف من المخلفين:**

وجاء المتخلفون من المنافقين يعتذرون ويحلفون، فقبل علانيتهم، ووكل سرائرهم إلى الله، وجاء ثلاثة من المؤمنين الصادقين، وكانوا قد تخلفوا عنه، وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، فصدقوا ولم يعتذروا، فأمرهم أن ينتظروا حتى يقضي الله فيهم، وأمر المسلمين أن لا يكلموهم، فتغير لهم الناس، وتنكرت لهم الأرض، وضاقت عليهم أنفسهم، وأظلمت عليهم الدنيا، فلما تم على ذلك أربعون يوماً أمرهم أيضاً أن لا يقربوا نساءهم، حتى إذا تم خمسون يوماً أنزل الله توبتهم فقال: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٨]، فأنزل الله فيهم قرآناً بقبول توبتهم يتلى إلى يوم القيامة وهذا جزاء الصدق مع الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]، ففرح المسلمون بقبول توبتهم، ونزلت آيات فضحت المنافقين وكشفت سرائرهم.

كان رجوعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تبوك في شهر رجب سنة ٩هـ، وتوفي النجاشي أصحمة بن الأبجر ملك الحبشة في نفس الشهر، فصلى عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الغائب في المدينة، ثم توفيت ابنته أم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في شهر شعبان سنة ٩هـ فصلى عليها ودفنها بالبقيع، وحزن عليها حزناً شديداً، وقال لعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو كانت عندي ثالثة لزوجتكها».

وفي ذي القعدة سنة ٩هـ مات رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول، وطلب ابنه من النبي أن يستغفر له، فاستغفر له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد حاول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يمنعه من الصلاة عليه فأبى، ثم نزل القرآن ينهى عن الصلاة على المنافقين قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ ﴾ [التوبة:٨٤].

كلمة حول الغزوات

كانت كلمة الحرب تعني في الجاهلية القتل والفتك والإحراق والتدمير والنهب والسلب وهتك الأعراض والإفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل دون رحمة ولا هوادة، فلما جاء الإسلام غَيَّر هذا المعنى تغييراً تاماً، فجعل الحرب سبيلاً لنصرة المظلومين، ووسيلة لبسط الأمن والسلام على الأرض، ولإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

وكانت شيمة العرب قبل الإسلام مواصلة الحروب وعدم الخضوع للعدو، مهما طال القتال، ومهما غلا الثمن، ولما جاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإسلام واجهته العرب بنفس الأسلوب، وجروه إلى ساحة القتال، ولكنه واجههم بأسلوب آخر حكيم، حتى فتح قلوبهم قبل أن يفتح بلادهم، وإذا قارنت حصائد غزواته ونتائجها بنتائج حروب الجاهلية ترى عجباً، فمجموع من قتل في جميع غزواته وحروبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المسلمين والمشركين واليهود والنصارى هم في حدود ألف قتيل فقط، والمدة التي استغرقتها هذه الغزوات لا تزيد على ثمانية أعوام، ولكنه في هذه الفترة القليلة وبإهراق هذا القدر القليل من الدم أخضع الجزيرة العربية كلها تقريباً، وبسط الأمن والسلام في أقصى ربوعها وأرجائها.

أترى أن هذا يمكن بقوة السيف؟ ولا سيما بالنسبة لأولئك الذين كانوا يتفانون في الحروب لأمور تافهة، ويضحون بالآلاف بعد الآلاف دون أن يتصور منهم الخضوع؟ كلا، بل إنها نبوة ورحمة ورسالة وحكمة، ودعوة ومعجزة، وفضل من الله ونعمة.

الوفود والدعاة والعمال

كان العرب ينتظرون نتيجة الصراع القائم بين قريش والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانوا يعتقدون أن الباطل لا يمكن أن يسيطر على المسجد الحرام بالقوة والفتح، ولم تكن قصة أصحاب الفيل عنهم ببعيدة، فلما أكرم الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإدخاله في المسجد الحرام، وبتسليطه على كفار مكة، ولم يبق عندهم أدنى شك في كونه رسولاً حقاً، بدأت القبائل العربية تتوافد إليه تترى، تؤمن برسالته وتقر بطاعته، وأخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً.

ومنهم أهل الطائف حيث بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة الثقفيّ في رجال إلى الطائف ليهدموا اللات، فكسروها وهدموا بنيانها، وخلال فترة قصيرة اتسعت رقعة الدولة الإسلامية من ساحل البحر الأحمر إلى ساحل الخليج العربي، ومن مناطق جنوب الأردن ومشارف الشام إلى سواحل اليمن وعمان، وأخذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينظم أمور هذه البلاد الشاسعة، فيرسل الدعاة وينصب الولاة، ويبعث جباة الصدقات، ويوفر ما يحتاج إليه نظام العباد والبلاد من القضاة والعمال.

ظهور
الأسود العنسي وقتله

وبينما استتب الأمن والإسلام في اليمن، وعمال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متوافرون في جميع جهاته إذ ظهر الأسود العنسي من بلدة كهف حنان في سبعمائة مقاتل، يدعي لنفسه النبوة والأمر، وتقدم إلى صنعاء واحتلها، ثم تفاقم أمره، واشتدت فتنته، وقوي ملكه، حتى انحاز عمال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أرض الأشعريين، وعامله المسلمون بالتقية، واستمر ذلك ثلاثة أو أربعة أشهر، ثم احتال عليه فيروز الديلمي وزملاؤه من الفرس، وكانوا قد أسلموا، فقتله فيروز، واحتز رأسه، ورماه خارج الحصن فانهزم أصحابه، وظهر الإسلام وأهله، وتراجع نواب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أعمالهم، وكتبوا بذلك إليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان قتله قبل وفاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيوم وليلة، فأتاه الوحي، فأخبر به أصحابه، ثم وصل الكتاب في زمن أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الأسئلة

س١: ما سبب غزوة مؤتة ومن أمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذه الغزوة؟

س٢: أكمل الجمل الآتية:

أ) أخذ راية المسلمين .... فقاتل حتى خر شهيداً، ثم أخذ الراية .... فقاتل حتى .... وحتى لا تسقط الراية أخذها.....................

ب) وفي رمضان سنة .... من الهجرة فتح الله تعالى لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .... وهو .... وأعز ....وأنقذ به.............. واستبشر به .... ودخل به الناس ....

س٣: تحدث عن حادثة دخول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة المكرمة، وكيف فعل بالأصنام وما فيها من الصُّور؟

س٤: من هم الصحابة الذين بعثهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهدم صنم العزى وسواع ومناة؟

س٥: تكلم عن حادثة هدم صنم بني طيء وإسلام عدي بن حاتم الطائي، وبما أخبره رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

س٦: بماذا لمز المنافقون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه؟ وماذا أنزل الله في شأنهم؟

س٣: ضع علامة (√) أو علامة (×) أما العبارات التالية:

١ – استعمل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المدينة محمد بن سلمة، وخلَّف على أهله علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ( )

٢- كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء جمع التقديم والتأخير حتى نزل بتبوك ( )

٣- أخبر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بأسماء من أرادوا اغتياله يوم العقبة عند رجوعه من تبوك، وكان حذيفة بن اليمان هو صاحب سر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( )

س٨: كيف كان موقف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المخلفين؟ ومن هم الثلاثة الذين نزل القرآن بصدق توبتهم؟

س٩: تكلم عن ظهور الأسود العنسي وحادثة مقتله.

عاشرا: أهم الأحداث

(من السنة العاشرة للهجرة إلى وفاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

حجة الوداع:

لما تم إبلاغ الدعوة في أنحاء الجزيرة العربية، وأوجد الله طائفة من المؤمنين تكفل بحفظها وبإبلاغها إلى أقصى أرض الله، قدر الله أن يري رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمار جهده المتواصل قبل أن ينتقل إلى الله، فأكرمه الله بحج بيته المكرم في ذي الحجة سنة ١٠هـ، فأذن به في الناس، واجتمع بالمدينة بشر كثير.

وفي يوم السبت السادس والعشرين من ذي القعدة لبس رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إزاره ورداءه، وانطلق من المدينة بعد صلاة الظهر، حتى بلغ ذا الحليفة بات بها، فلما أصبح قال: أتاني الليلة آت من ربي، فقال: صل في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة في حجة، وكان هذا إباحة للعمرة في أيام الحج، وكان أهلَّ الجاهلية يرونها من أفجر الفجور، ثم اغتسل وتطيب ولبس إزاره ورداءه، وأهل بالحج والعمرة، وقرن بينهما، فقال: «اللهم لبيك عمرة وحجاً، ثم لبى: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك». وكان أحياناً يقول: «لبيك إله الحق».

ثم خرج من المصلى فركب القصواء، وواصل سيره حتى دنا من مكة وأدى بقية مناسك الحج، وهو يقول للناس «لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»، وأتى وادي عرنة وقد اجتمع الناس حوله فقام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وتشهد، وأوصى بتقوى الله، ثم قال فيما قال: «أيها الناس! اسمعوا قولي. فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل

شيء من أمور الجاهلية موضوع تحت قدمي، ودماء الجاهلية موضوعة... وربا الجاهلية موضوع... واتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد»!، وقد بين في هذه الخطبة عدة أمور أخرى، فلما فرغ منها نزل عليه قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

فكان يوم نعمة وسعادة وشكر وهي آخر ما نزل من القرآن، ولما أتم نسكه ركب القصواء ناقته وتوجه للمدينة، ولما قرب منها ولاحت له معالمها كبر ثلاثاً ثم قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده».

مرض النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ووفاته:

اعتكف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في رمضان من السنة العاشرة عشرين يوماً، وعارضه جبريل القرآن مرتين، فقال لابنته فاطمة: «لا أرى ذلك إلا اقتراب أجلي». وودع معاذاً إلى اليمن فأوصاه، ثم قال: «يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا»، وفي أوائل شهر صفر سنة ١١هـ خرج صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إلى أحد، فصلى على أهل أحد، ثم انصرف إلى المنبر فقال: «أنا فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني

أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»، أي الدنيا.

- بداية مرضه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وفي يوم الاثنين الأخير من شهر صفر شهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جنازة في البقيع. قالت عائشة: رجع من البقيع وأنا أجد صداعاً في رأسي، وأنا أقول: وا رأساه، فقال: «بل أنا والله يا عائشة وا رأساه».

كان هذا بداية مرضه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو مع ذلك يدور على نسائه، حتى اشتد به المرض، وهو في بيت ميمونة فأخذ يسأل: أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟ يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء، فخرج يمشـي بين الفضل بن عباس، وعلي بن أبي طالب، وتخط قدماه بالأرض، حتى انتقل إلى بيت عائشة.

- عهده ووصيته:

قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: لما دخل بيتي، واشتد به وجعه قال: «هريقوا علي من سبع قرب، لم تحلل أوكيتهن، لعلي أعهد إلى الناس» فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا أن قد فعلتن، ثم خرج إلى الناس، فصلى بهم وخطبهم، وقال فيما قال: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»، وقال: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتـخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وقال: «لا تتخذوا قبري وثناً يعبد».

وعرض نفسه للقصاص لكل من له عليه مظلمة، وأوصى بالأنصار خيراً، ثم قال: «إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده»، فبكى أبو بكر، وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر

رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا، ثم أثنى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على أبي بكر، وأمر بسد الأبواب الشارعة في المسجد، إلا باب أبي بكر.

- استخلاف أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ على الصلاة:

وكان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مع شدة مرضه يصلي بالناس، فلما كان ذلك اليوم – يوم الخميس – وحان وقت صلاة العشاء اغتسل صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في مخضب ليتخفف، ثم ذهب ليقوم، فأغمي عليه، ثم أفاق فاغتسل ثانياً، ثم ذهب ليقوم فأغمي عليه، ثم أفاق فاغتسل ثالثاً فلما ذهب ليقوم أغمي عليه، فأرسل إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، فصلى أبو بكر تلك الأيام، وجملة الصلوات التي صلاها أبو بكر بالناس ١٧ صلاة.

ويوم السبت أو الأحد وجد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في نفسه خفة فخرج بين رجلين لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فأجلساه إلى يساره، فكان أبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والناس يقتدون بأبي بكر، يسمعهم التكبير.

- تصدقه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بما لديه:

ويوم الأحد أعتق النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ غلمانه، وتصدق بسبعة دنانير كانت عنده، ووهب المسلمين سلاحه، وجاء الليل فأرسلت عائشة – رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا – بمصباحها إلى امرأة وقالت: أقطري لنا في مصباحنا من عكتك السمن، وكانت درعه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من الشعير.

- آخر أيامه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ:

ولما أصبح يوم الاثنين – وكان يوم نوبة عائشة – وقام أبو بكر يصلي بالناس صلاة الفجر كشف رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ستر حجرة عائشة فنظر إليهم، ثم تبسم

يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه، وظن أنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يريد أن يخرج إلى الصلاة، وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم، فرحاً برسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر.

وفي هذا اليوم – أو في هذا الأسبوع – دعا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فاطمة فسارها بشيء فبكت، ثم سارها بشيء فضحكت، وسألتها عائشة عن ذلك فكتمت، حتى توفي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فأخبرتها أنه قال لها في الأولى: إنه يموت في مرضه هذا فبكيت، وقال لها في الثانية: إنها أول أهله يتبعه فضحكت، وبشرها أيضاً أنها سيدة نساء العالمين، ورأت فاطمة ما برسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من شدة الكرب، فقالت: «واكرب أباه»، فقال: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم»، ودعا الحسن والحسين فقبلهما، ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن.

وطفق الوجع يشتد ويزيد، وانتقض السم الذي أكله بخيبر، فأخذ يحس بشدة ألمه، وكان قد طرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد – يحذر ما صنعوا – لا يبقين دينان بأرض العرب»، وكان هذا من آخر ما تكلم وأوصى به الناس، وكرر مراراً: «الصلاة، الصلاة، وما ملكت أيمانكم».

- الاحتضار والانتقال للرفيق الأعلى:

وبدأ الاحتضار فأسندته عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا إلى صدرها بين سحرها ونحرها، وجاء أخوها عبدالرحمن بسواك من جريدة رطبة، فأخذ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ينظر إلى السواك، ففهمت عائشة أنه يريده، فسألته فأشار برأسه: أن نعم، فأخذته ومضغته حتى لينته، فاستاك به رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كأحسن ما كان يستاك، وبين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء، ويمسح به وجهه، ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت

سكرات، ثم رفع يديه أو إصبعه وشخص بصره نحو السقف، وتحركت شفتاه، فأصغت إليه عائشة فسمعته يقول: «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى»، وكرر الكلمة الأخيرة ثلاثاً، وفاضت روحه، ومالت يده، ولحق بالرفيق الأعلى، وذلك يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ١١هـ حين اشتد الضحى، وقد تم له ثلاث وستون سنة صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- حيرة الصحابة وموقف أبي بكر:

وتسرب الخبر بين الصحابة خلال لحظات، فأظلمت عليهم الدنيا، وكادوا يفقدون وعيهم، فلم يكن يوم أحسن ولا أضوء من يوم دخل فيه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، ولم يكن يوم أظلم ولا أقبح من يوم مات فيه، وكان لهم ضجيج كضجيج الحجاج من البكاء، وقام عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في المسجد يقول: إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يمت ولا يموت حتى يفني الله المنافقين، وأخذ يتوعد من يقول إنه مات، والصحابة حوله في المسجد حائرون مندهشون.

وكان أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد خرج إلى مسكنه بالسنح حين رأى الخفة في مرضه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صباحاً، فلما توفي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقبل أبو بكر على دابته حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة، فقصد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو مسجى ببرد حبرة، فكشف وجهه، فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، ولا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقدمتها، ثم خرج فقال: اجلس يا عمر، فأبى أن يجلس، فتركه وجاء إلى المنبر وقام بجنبه، وترك الناس عمر، وأقبلوا إليه، فتشهد وقال: أما بعد، من كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله – تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ

ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، قال ابن عباس: فو الله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية، حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها.

قال عمر: فو الله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرفت أنه الحق، فعقرت، حتى ما تقلني رجلاي، وحتى هويت إلى الأرض، وعرفت أنه قد مات.

- **اختيار أبي بكر الصديق لخلافته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**

اجتمع الصحابة المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة واتفقوا على تولية أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالخلافة لمعرفتهم بتفضيل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له وتقديمه في أكثر ما مناسبة، فاجتمعوا على خلافته وبيعته في السقيفة وكان محل إجماع بينهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

- **التجهيز ودفن الجسد الشريف:**

ويوم الثلاثاء غسلوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يجردوه من ثيابه، وقام بغسله العباس، وعلي، والفضل وقثم ابنا العباس، وشقران مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأسامة بن زيد، وأوس بن خولى، وكان العباس وابناهما يقلبونه، وأسامة وشقران يصبان الماء، وعلي يغسله، وأوس أسنده إلى صدره، وقد غسلوه ثلاث غسلات بماء وسدر، وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف، وليس فيها قميص ولا عمامة، أدرج فيها إدراجاً.

وحفر أبو طلحة قبره في الموضع الذي توفي فيه، وجعل القبر لحداً، ثم وضع سريره على شفير القبر، ودخل الناس ارسالاً عشرة فعشرة، ويصلون عليه أفذاذاً، لا يؤمهم أحد، وأول من صلى عليه عشيرته، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم النساء، ثم الصبيان.

وانتهى في ذلك يوم الثلاثاء ومعظم ليلة الأربعاء، ثم أنزلوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القبر ودفنوه في أواخر الليل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الأسئلة

س١: متى كانت حجة الوداع؟ وماذا قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطبته للناس؟

س٢: اكتب باختصار في الآتي:

١- بداية مرضه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووصيته.

٢- استخلاف أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على الصلاة.

٣- آخر أيامه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والانتفال للرفيق الأعلى.

س٣: كيف كان موقف أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندما علم بوفاة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبماذا خطب الناس.

في معرفة
أزواجه وأولاده وشمائله

أزواجه أمهات المؤمنين وأولاده:

وكان له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مختلف مراحل حياته إحدى عشرة امرأة أو اثنتا عشرة امرأة، واجتمع منهن تسع في آخر حياته، وأما الاثنتان أو الثلاث فقد وافتهن الوفاة والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حي، وفيما يلي ذكر موجز لهن:

١- **أم المؤمنين خديجة بنت خويلد** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٢- **أم المؤمنين سودة بنت زمعة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٣- **أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٤- **أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٥- **أم المؤمنين زينب بنت خزيمة الهلالية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٦- **أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٧- **أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رئاب** -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٨- **أم المؤمنين جويرية بنت الحارث (سيد بني المصطلق)** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٩- **أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

١٠- **أم المؤمنين صفية بن حيي بن أخطب** -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

١١- **أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وكانت له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سوى هؤلاء النسوة سرية واحدة، وهي مارية القبطية، وقد ولدت له إبراهيم، توفيت سنة ١٦هـ ويقال: في المحرم سنة ١٥هـ ودفنت بالبقيع.

أولاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

كان جميع أولاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خديجة إلا إبراهيم. وهم:

١- القاسم: وهو أكبر ولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبه كان يكنى، وعاش حتى مشى، ثم توفي وهو نحو سنتين.

٢- زينب: وهي أكبر بناته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلك أفضل بناتي. ولدت بعد القاسم، وتزوجها أبو العاص بن الربيع، وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد، ولدت زينب ابناً اسمه علي، وبنتاً اسمها أمامه، وهي التي كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحملها في الصلاة، توفيت زينب في أوائل سنة ثمان بالمدينة.

٣- رقية: تزوجها عثمان بن عفان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ماتت رقية ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بدر، وجاء زيد بن حارثة بشيراً إلى المدينة، فوجدهم قد سووا التراب على قبرها.

٤- أم كلثوم: زوجها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد وفاة رقية مرجعه من بدر، ولم تلد له شيئاً، توفيت في شعبان سنة ٦هـ ودفنت بالبقيع.

٥- فاطمة: وهي أصغر بناته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحبهن إليه، وهي سيدة نساء أهل الجنة، وتزوجها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد بدر، فولدت له ابنين: حسناً وحسيناً، وبنتين: زينب وأم كلثوم، وأم كلثوم هذه تزوجها عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فولدت له زيداً، وتوفيت فاطمة – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بستة أشهر.

هؤلاء الخمسة المذكورون من أولاده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولدوا قبل أن يكرمه الله بالنبوة والرسالة.

٦- عبدالله: يقال إنه ولد في الإسلام، ويقال: بل قبل ذلك، وتوفي وهو صغير، وكان آخر أولاد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خديجة.

٧- إبراهيم: ولد بالمدينة من مارية القبطية، في جمادي الأولى أو جمادي الآخرة سنة ٩هـ وتوفي ٢٩ شوال سنة ١٠هـ يوم كسفت الشمس بالمدينة وهو رضيع، ابن ستة عشراً أو ثمانية عشر شهراً، ودفن بالبقيع.

شمائله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الشمائل المراد بها خصال الإنسان وأوصافه وخلاله وأخلاقه وآدابه ونحو ذلك، يقال: فلان حسن الشمائل أي حسن الأخلاق، ولهذا سمي الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من أهل العلم أوصاف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخلاقه وآدابه وما يتعلق به بـ «الشمائل».

شمائلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخِلْقية والخُلقية: (الصفات والأخلاق)

كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمتاز من جمال خَلْقه وكمال خُلُقه بما لا يحيط بوصفه البيان، وكان من أثره أن القلوب فاضت بإجلاله، والرجال تفانوا في حياطته وإكباره، بما لا تعرف الدنيا لرجل غيره، فالذين عاشروه أحبوه إلى حد الهيام، ولم يبالوا أن تندق أعناقهم ولا يخدش له ظُفْر، وما أحبوه كذلك إلا لأن أنصبته من الكمال الذي يحبب عادة لم يرزق بمثلها بشر. وفيما يلي نورد ملخص الروايات في بيان جماله وكماله مع اعتراف العجز عن الإحاطة.

- **جمال الخلق:**

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ وهو ينعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لم يكن بالطويل المُمَغَّطِ، ولا القصير المتردد، وكان رَبْعَة من القوم، ولم يكن بالجَعْد القَطِطِ، وكان في الوجه تدوير، ضَخْم الرأس، وكان أبيض مُشْرَبًا، أدْعَج العينين، أهْدَب الأشْفَار، إذا مشي تَقَلّع كأنما يمشي في صَبَب، وإذا التفت التفت معاً، من رآه بديهة

هابه، كان أزْهَر اللون، ليس بأبيض أمْهَق، ولا آدَم، قُبض وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، بَعِيدَ ما بين المَنْكِبَيْن، له شَعْر يبلغ شَحْمَة أذنيه.

وكان يُسْدِل شعره أولاً لحبه موافقة أهل الكتاب، ثم فَرَق رأسه بعد، قال البراء: كان أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خُلُقًا، وسئل: أكان وجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل السيف؟ قال: لا بل مثل القمر. وفي رواية: كان وجهه مستديراً، وقال جابر بن سَمُرَة: رأيته في ليلة إضْحِيَانٍ، فجعلت أنظر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإلى القمر ـ وعليه حلة حمراء ـ فإذا هو أحسن عندي من القمر، وقال أبو هريرة: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كأنما الأرض تُطْوَي له، وإنا لنجهد أنفسنا، وإنه لغير مكترث، وقال كعب بن مالك: كان إذا سُرَّ استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، وعرق مرة وهو عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَخْصِفُ نعلاً، وهي تغزل غزلاً، فجعلت تبرق أسارير وجهه، فلما رأته بُهِتَتْ وقالت: والله لو رآك أبو كَبِير الهُذَلِي لعلم أنك أحق بشعره من غيرك:

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

وكان إذا غضب احمر وجهه، حتى كأنما فقئ في وجنتيه حَبُّ الرمان.

وقال جابر بن سَمُرَة: كان لا يضحك إلا تَبَسُّماً، وكنت إذا نظرت إليه قلت: أكْحَل العينين، وليس بأكحل، وقال عمر بن الخطاب: وكان من أحسن الناس ثَغْراً، قال ابن عباس: كان أفْلَجَ الثنيتين، إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه.

وأما عُنُقه فكأنه جِيدُ دُمْيَةٍ في صفاء الفضة، وكان في أَشْفَاره عَطَف، وفي لحيته كثافة، وكان واسع الجبين، أَزَجّ الحواجب في غير قرن بينهما، أَقْنَي العِرْنِين، سَهْل

الخَدَّيْن، ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره، أشْعَر الذراعين والمنكبين، سَوَاءُ البطن والصدر، مَسِيح الصدر عريضه، طويل الزَّنْد، رَحْب الراحة، يخطو تَكَفِّياً ويمشي هَوْناً.

وقال أنس: ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا شممت ريحاً قط أو عَرْفاً قط، وفي رواية: ما شممت عنبراً قط ولا مِسْكاً ولا شيئاً أطيب من ريح أو عرف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان بين كتفيه خاتم النبوة مثل بيضة الحمامة، يشبه جسده.

- **كمال النفس ومكارم الأخلاق:**

كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يمتاز بفصاحة اللسان**، وبلاغة القول، وكان من ذلك بالمحل الأفضل، وسلامة طبع، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وعلم ألسنة العرب، يخاطب كل قبيلة بلسانها، ويحاورها بلغتها، اجتمعت له قوة عارضة البادية وجزالتها، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها، إلى التأييد الإلهي الذي أمده الوحي.

وكان الحلم والاحتمال، والعفو عند المقدرة، والصبر على المكاره، صفاتٌ أدبه الله بها، وكل حليم قد عرفت منه زلة، وحفظت عنه هَفْوَة، ولكنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبرا، وعلى إسراف الجاهل إلا حلما، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها، وكان أبعد الناس غضباً، وأسرعهم رضاً.

وكان من صفة الجود والكرم على مالا يقادر قدره، كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فلرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود بالخير من الريح المرسلة، وقال جابر: ما سئل شيئاً قط فقال: لا.

وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يجهل، كان أشجع الناس، حضر المواقف الصعبة، وَفرَّ عنه الكماةُ والأبطال غير مرة وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا

يُدبر ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فَرَّة وحفظت عنه جولة سواه، قال علي: كنا إذا حمي البأس واحمرت الحَدَقُ، اتقينا برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، قال أنس: فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قِبَلَ الصوت، فتلقاهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عُرْي في عنقه السيف، وهو يقول: (لم تُرَاعوا، لم تُرَاعوا).

وكان أشد الناس حياء وإغضاء، قال أبو سعيد الخدري: كان أشد حياء من العذراء في خِدْرها، وإذا كره شيئاً عرف في وجهة. وكان لا يثبت نظره في وجه أحد، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جُلُّ نظره الملاحظة، لا يشافه أحداً بما يكره حياء وكرم نفس، وكان لا يسمي رجلاً بلغ عنه شيء يكرهه، بل يقول. (ما بال أقوام يصنعون كذا).

وكان أحق الناس بقول الفرزدق:

يُغْضِي حياءً ويُغْضِي من مَهَابَته ... فلا يُكَلَّم إلا حِين يَبْتَسِمُ

وكان أعدل الناس، وأعفهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، اعترف له بذلك مجاوروه وأعداؤه، وكان يسمي قبل نبوته الأمين، ويُتَحاكم إليه في الجاهلية قبل الإسلام، روي الترمذي عن على أن أبا جهل قال له: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[**الأنعام: ٣٣**]، وسأل هرقل أبا سفيان، هل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا.

وكان أشد الناس تواضعاً، وأبعدهم عن الكبر، يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك، وكان يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس في أصحابه

كأحدهم، قالت عائشة: كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته، وكان بشراً من البشر يَفْلِي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه.

وكان أوفى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورأفة ورحمة بالناس، أحسن الناس عشرة وأدباً، وأبسط الناس خلقاً، أبعد الناس من سوء الأخلاق، لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا لعاناً، ولا صخابا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، وكان لا يدع أحدا يمشي خلفه، وكان لا يترفع على عبيده وإمائه في مأكل ولا ملبس، ويخدم من خَدَمَه، ولم يقل لخادمه أف قط، ولم يعاتبه على فعل شيء أو تركه، وكان يحب المساكين ويجالسهم، ويشهد جنائزهم، ولا يحقر فقيراً لفقره.

وكان يمسك لسانه إلا عما يعنيه، يؤلف أصحابه ولا يفرقهم، يكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، يتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويصوبه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر، غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق، ولا يجاوزه إلى غيره، كان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن، لا يميز لنفسه مكاناً، إذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، من جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول.

كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صَخَّاب، ولا فحاش، ولا عتاب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يقنط منه، قد ترك نفسه من ثلاث: الرياء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: لا يذم أحداً، ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رءوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده

أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويعجب مما يعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق، يقول: إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه، ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ.

وقال خارجة بن زيد: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوقر الناس في مجلسه، لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه، وكان كثير السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يعرض عمن تكلم بغير جميل، كان ضحكه تبسماً، وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيراً له واقتداء به، فصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الأسئلة

س١ : اذكر أسماء زوجات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمهات المؤمنين.

س٢ : قم بإعداد جدولٍ زمنيٍّ يحدد أولاد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالترتيب.

س٣: ما المقصود بالشمائل؟

س٤ : اكتب ما تعرفه عن شمائل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- سنن أبي داود.
- سنن الترمذي.
- سنن النسائي.
- سنن ابن ماجه.
- مسند أحمد بن حنبل.
- السيرة النبوية لابن كثير.
- البداية والنهاية لابن كثير.
- السيرة النبوية لابن هشام.
- زاد المعاد لابن القيم.
- شمائل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للترمذي.
- روضة الأنوار للمباركفوري.

المحتويات

الحكومة الليبية المؤقتة
LIBYAN INTERIM GOVERNMENT

وزارة التعليم
MINISTRY OF EDUCATION

المركز العام للمناهج التعليمية والبحوث التربوية
GENERAL CENTER FOR EDUCATION
CURRICULUM AND RESEARCH STUDIES

التاريخ : 2018 ,09 ,10
الرقم الإشاري : 2018.30.264

السيد المحترم: رئيس مجلس الإدارة بالهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية

بداية لكم ولكل العاملين معكم أصدق التحايا سائلين العلي القدير لنا ولكم التوفيق و السداد لخدمة البلاد والعباد.

بالإشارة إلى كتابكم رقم 1439/10/20 هجري ـ الموافق: 2018/07/04 ميلادي بشأن اعتماد المناهج التي تدرس بالمعاهد الدينية التابعة للحكومة الليبية المؤقتة من قبل المركز العام للمناهج التعليمية والبحوث التربوية وبناء على تأشيرة السيد وكيل وزارة التعليم بالإجراء، وإلى كتابنا رقم 2018.5.239 المؤرخ في 2018/08/28 ميلادي الموجه للسيد وكيل وزارة التعليم بشأن مخاطبتكم لمعالجة الملاحظات الواردة في خلاصة عمل اللجنة المكلفة بالمراجعة، وعلى كتاب السيد مدير الإدارة العامة للمعاهد الدينية رقم أ.م.د 2018/200/2377 المؤرخ في 1439/12/26 هجري الموافق :2018/09/06 ميلادي بشأن إنجاز التصليحات والتصويبات.

عليه لامانع من اعتماد المناهج والمقررات الدراسية الخاصة بالمعاهد الدينية التابعة لهيئتكم الموقرة و التي تم مراجعتها من قبل اللجنة المختصة وفق كتاب السيد مدير إدارة المناهج رقم 2018.7.263 المؤرخ في 2018/09/10 ميلادي، مع التأكيد على ضرورة تنفيذ ومعالجة الملاحظات الواردة بالتقرير الفني المرفق قبل أنجاز أي أعمال تتعلق بالتدريس أو بطباعة الكتب.

تفضلوا بالاستلام
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد علي المهشهش

مدير عام مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية

صورة الى
السيد معالي وزير التعليم
السيد وكيل وزارة التعليم
السيد / مدير ادارة المناهج
السيد / مدير لادارة الكتاب المدرسي والمطابع
الملف الدوري العام